ICAS
JAKARTA
LIBRARY

الفكر الاسلامي
تطوراته ومساراته المعاصرة

جَمِيعُ الحُقوق محفُوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان

Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

قضايا اسلامية معاصرة

الفكر الاسلامي
تطوراته ومساراته المعاصرة

زكـي الميـلاد

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

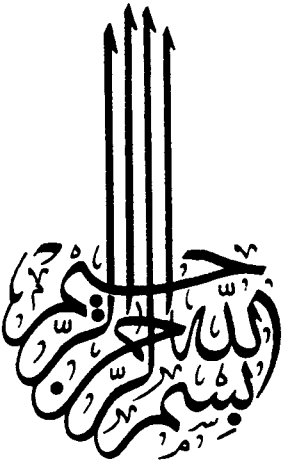
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحرر

في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي حدث أول لقاء مباشر بين المسلمين في الشرق والاوربيين، لما غزا نابليون مصر سنة ١٧٩٨ م، وجلب معه المطبعة، وبعض مقتنيات الحضارة الاوربية الحديثة، فضلاً عن مجموعة من الخبراء والاكاديميين، ثم تلا ذلك بعثُ محمد علي باشا لجماعة من الطلاب المصريين الى فرنسا في سنة ١٨٢٦ م، وبعد ان التحق بهم آخرون، فكانت اكبر بعثه دراسية توفدها مصر الى أوربا حينذاك. وقد لعب أفرادها بعد تأهيلهم العلمي دوراً رائداً في بناء الدولة المصرية، غير ان الدور الاهم، هو الذي لعبه أحد الافراد، والذي لم يكن أول الامر طالباً في البعثة، وانما كان مرشداً أو اماماً دينياً للبعثة، وهو الشيخ رفاعة الطهطاوي، لكنه شرع بالدراسة فور وصوله، وتعلم اللغة الفرنسية، وكان يهدف الى ترجمة العلوم الى العربية، وبعد عودته الى مصر سنة ١٨٣١ م بادر رفاعة لترجمة مجموعة من الكتب، وبموازاتها كتب رحلته وانطباعاته ووعيه للحضارة الغربية في كتابه الأثير «تخليص الابريز في تلخيص

باريز» ومؤلفاته الأخرى.

لقد كان لترجمات الطهطاوي ومؤلفاته أثر حاسم في تدشين عهد جديد للفكر في مصر وما حواليها من البلاد العربية، وهو العهد الذي تعرف فيه المسلمون على شيء من معارف اوربا وعلومها الجديدة.

ومثلما حدث في مصر فقد سبق ذلك لقاء المسلمين الاتراك بالفكر الاوربي، وقارنه في النصف الاول من القرن التاسع عشر تعرف المسلمين في شبه القارة الهندية على أوربا وبعض معارفها، وتلاه اتصال الدولة القاجارية في ايران باوربا.

لقد اتسم تعرف النخبة في العالم الاسلامي على أوربا آنذاك بالانبهار والذهول، فمثلاً كان السير سيد أحمد خان يدعو المسلمين في الهند للانخراط في الحضارة الغربية، وبغية تحقيق ذلك أصدر مجلة «تهذيب الاخلاق» وهي مجلة تهتم بالتبشير بدعوته، كما أنشأ مجمعاً علمياً للترجمة والتأليف والنشر، ومؤسسة تعليمية هامة سنة ١٨٧٥ م هي «جامعة عليكره الاسلامية»، كذلك ألف عدة كتب، من أشهرها تفسيره للقرآن، الذي نحى فيه منحى تأويلياً، واهتم فيه بالتلفيق بين مداليل القرآن والعلوم الحديثة، فقدم في هدى هذا المنهج فهماً بديلاً لبعض العقائد، واقترح في كتابه «تبيان الكلام» نظرية جديدة اصطلح عليها بانسانية الاديان.

لقد أشاعت آراء أحمد خان، ونظراته التأويلية للمفاهيم الاسلامية، ودعوته للمذهب الطبيعي، عاصفة من الجدل والمناظرات، أيقظت التفكير الساكن، وأقحمت العقل في فضاء قلق مضطرب، يموج باشكالات واستفهامات مختلفة، لم يألفها هذا العقل في متون التراث الكلاسيكية. فانبرى للرد على آرائه السيد أكبر حسين الاله ابادي، والسيد جمال الدين الحسيني المعروف

بالافغاني، وغيرهم.

ان آراء أحمد خان وآراء مفكرين غيره ظهروا في تركيا وايران ومصر والمشرق العربي، عملت على تأجيج قلق عقائدي ونزعات ارتياب، انبثقت عنها اسئلة حائرة واشكالات متنوعة، مهّدت السبيل لبعث آراء وأفكار جديدة، لم يألفها عالمنا في عصور الانحطاط، وبدأ وعي قطاع من الدارسين يتحرر من الحواشي والشروح، التي لبث محتجباً في مداراتها عن العالم مدة طويلة.

ويمكن رصد عدة مستويات للفكر الاسلامي المنجز منذ الطهطاوي حتى الآن، فقد اتسم هذا الفكر في مرحلته الأولى بنزعة اعتذارية تبريرية، وطبعت آثار الدارسين مقارنات واسعة بين قضايا التراث ومعطيات العلوم الحديثة، بهدف ترسيخ الانتماء للأمة وميراثها. ولم تتجاوز دائرة المهتمين بهذا الفكر نخبة ضئيلة من المستنيرين، الذين تخرجوا في الحواضر العلمية التقليدية، وتعرفوا على النمط الجديد للعلوم الغربية.

غير ان الفكر الاسلامي الحديث سرعان ما تخطى تلك الدائرة المحدودة، فأخذ ينتشر بين الناس، واتخذ الخطاب الاسلامي طابع التثقيف الجماهيري العام مع ولادة أول تيار حركي اسلامي في نهاية العقد الثالث من القرن العشرين، فانتقل الفكر من مشاغله النظرية وتجسّد في حركة تُجنِّد أفواجاً من الشباب، وتحرص على تربيتهم وتأهيلهم. مضافاً إلى محاولة بناء لبنات مؤسسات خدمات اجتماعية، ومشاريع للبر والاحسان.

وفي هذا السياق انجز الفكر الاسلامي محاولات تنظيرية، تتفاوت درجاتها، لكن هذا الفكر دخل مع نماذجها الرائدة مرحلة جديدة، مثلما نلاحظ في أعمال محمد اقبال، ومحمد عبدالله درّاز، ومالك بن نبي، والسيد محمد حسين

الطباطبائي، والشهيد مرتضى مطهري، والسيد الشهيد محمد باقر الصدر.

وفي حقبة لاحقة عززت هذه النماذج الرائدة جهود هامة، تمثلت باعداد بحوث اكاديمية في مختلف قضايا الفكر الاسلامي في الجامعات. كذلك ولدت مجموعة من مراكز الدراسات والدوريات المتخصصة بهذا الشأن.

غير ان مسار الفكر الاسلامي الحديث ظل يفتقر للدراسات التي تتناول تاريخ تطوره، باستثناء محاولات قليلة، وما ظهر منها لم يتحرر من التحيزات العصبوية والطائفية، فأغفلت بعضها مثلاً اسهامات علماء ومفكري الشيعة والحوزات العلمية، وكأن فكرهم خارج مسار الفكر الاسلامي، كما فعل الدكتور فهمي جدعان في كتابه الذائع الصيت «اسس التقدم عند مفكري الاسلام في العصر الحديث». كذلك أغفلت تلك المحاولات في الغالب مكاسب الفكر الاسلامي. وأسرف بعضها في نفي أية مزية ايجابية لهذا الفكر.

وتجيء دراسة الأخ الباحث زكي الميلاد لتؤرخ لنشأة الفكر الاسلامي في العصر الحديث، وتسعى لاقتراح تحقيب لمراحله، وتستعرض أبرز مكاسبه، وتوثّق طائفة من اشهر مؤلفات الاسلاميين في المائة عام الأخيرة.

ونحن نقف على أعتاب قرن جديد، بوسعنا القول ان كتاب «الفكر الاسلامي: مساراته وتطوراته المعاصرة» يقدم رؤية أولية لتقويم الأداء الفكري للمسلمين في القرن العشرين، من منظور يهتم باكتشاف المزايا وبيان الانجازات، قبل تشخيص المنزلقات وتعداد العيوب والثغرات.

وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب

عبدالجبار الرفاعي

الفصل الأول

تطور الفكر الإسلامي الحديث

-١-

الفكر الإسلامي الذي تشكل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وامتد إلى العقود الأولى من القرن العشرين، وتحديداً مع نهاية الخلافة العثمانية، والذي يصطلح عليه في الأدبيات المعاصرة، العربية والإسلامية، بالفكر الإسلامي الحديث، أو بفكر النهضة، أو بحركة الإصلاح الإسلامي، وفي بعض كتابات المستشرقين بحركة التجديد الديني، أو بالاتجاه الحديث في التجديد الديني.

هذه المرحلة من تاريخية الفكر الإسلامي، يمكن النظر إليها على أنها من أهم وأبرز فترات تطور وتقدم مسارات هذا الفكر.

والذين حاولوا أن يؤرخوا لمراحل تطور الفكر الإسلامي، أو أن يضعوا هذا الفكر في تقسيمات زمنية من التحقيب التاريخي، هؤلاء يتفقون تقريباً على خصوصية الفكر الإسلامي في تلك المرحلة التي نقصدها بالحديث، حيث تدرس وتؤرخ عند هؤلاء في سياق زمني يعبر عن مرحلة لها قسماتها

وملامحها واتجاهاتها الفكرية والاجتماعية والسياسية.

وقد ارتبط الفكر الإسلامي الحديث بالاحتكاك المباشر والواسع بالغرب الذي كان يمثل تحدياً تاريخياً ضاغطاً على العالم الإسلامي، وتجربة متقدمة في النمو والتطور على الصعيد العلمي والصناعي، وعلى صعيد النظم الإدارية والتشريعات القانونية والسياسية والدستورية، في نظر رواد تلك المرحلة من المفكرين والإصلاحيين الإسلاميين. في حين أن الفكر الإسلامي قبل هذه المرحلة ارتبط في أكثر قضاياه بالظواهر والمفاهيم التي تتصل بالعقيدة واصلاح الواقع الاجتماعي دينياً في نطاق البيئات العربية، مع احتكاكه بالدولة العثمانية التي كانت تحاول أن توسع من سيطرتها على هذه البيئات. وقد اصطلح على هذه المرحلة في الكتابات العربية بالدعوات الإصلاحية السلفية.

ويصنف على هذه المرحلة، حركة «محمد بن علي السنوسي» [١٧٨٧ـ١٨٥٩م] وعرفت بالحركة السنوسية التي ظهرت في شمال أفريقيا توطنت في ليبيا، وحركة المهدية التي ظهرت في السودان وتزعمها «محمد بن أحمد العبد الله» [١٢٦٠ـ١٣٠٢هـ/ ١٨٤٤ـ١٨٨٥م]، وهناك من أضاف دعوة «محمد بن علي الشوكاني» [١١٧٣ـ/١٧٦٠ـ] في اليمن، والآلوسيان في العراق وهما «شهاب الدين محمود الآلوسي» [١٢١٧ـ/١٨٠٢ـ] و «محمود شكري الآلوسي» [١٢٧٣ـ١٣٤٢هـ/ ١٨٥٦ـ١٩٢٤م][1] وتمتد هذه المرحلة من الفكر الإسلامي من القرن الثامن عشر إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر.

١ـ الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة. على المحافظة، بيروت: الاهلية للنشر، ١٩٨٣م.

أما الفكر الإسلامي المعاصر فقد ارتبط بالواقع الذي جاء بعد نهاية الخلافة العثمانية في النصف الأول من القرن العشرين. ثم بالواقع الذي جاء بعد قيام الدولة القطرية في المنطقة العربية في النصف الثاني من القرن العشرين، ويمتد إلى نهاية حقبة السبعينات. لأن سياقات الفكر الإسلامي بعد هذه الحقبة اختلفت بصورة كبيرة، حيث ارتبط الفكر الإسلامي في هذه المرحلة بواقع شديد التغير، كان من أبرز ملامحه الانبعاث الإسلامي الواسع في العالم العربي والإسلامي الذي فرض على الفكر الإسلامي وضعيات جديدة. اصطلح البعض على هذه الفترة بالفكر الإسلامي الجديد[1].

سوف نقارب بين هذه المراحل في سياق الحديث عن تطورات الفكر الإسلامي الحديث الذي ارتبط بوضعيات وأوضاع وبيئات ساعدت على تطوره وتقدمه. وهذا ما نحاول أن نستكشفه ونبرهن عليه. ولعل من أكثر العوامل تأثيراً على تطورات الفكر الإسلامي الحديث، هم رجالات هذا الفكر واسهاماتهم وعطاءاتهم وطريقة تعاطيهم مع الواقع المحيط بهم، والرؤية التي عبروا عنها فكرياً وسياسياً واجتماعياً. ومن أبرز هؤلاء «رفاعة رافع الطهطاوي» [١٢١٦ـ١٢٩٠ هـ/ ١٨٠١ـ١٨٧٣م]، و «خير الدين التونسي» [١١٢٢٥ـ١٣٠٥ هـ/ ١٨١٠ ـ ١٨٩٠ م] و «محمد عبده» [١٢٦٦ـ

١ـ الفكر الإسلامي المعاصر، نظرات في مساره وقضاياه. قيس خزعل العزاوي، بيروت: دار الرازي، ط، ١٩٩٢

١٣٢٣ هـ/ ١٨٤٩ـ١٩٠٥ م] و «محمد رشيد رضا» [١٢٨٢ـ١٣٥٤ هـ/ ١٨٦٥ ـ ١٩٣٥ م]، و «محمد اقبال» [١٨٧٣ـ١٩٣٨ م]، وفي نظر البعض ان «أهم هؤلاء جميعاً باتفاق جميع المتخصصين هو جمال الدين الأفغاني»[١] [١٢٥٤ـ١٣١٥ هـ/ ١٨٣٨ـ١٨٩٧ م] «الذي كان أول مشعل للحركات الإصلاحية في القرن الأخير»[٢]. لقد كان للسيد «جمال الدين الأفغاني» دوراً مهماً في انبعاث وتطور الفكر الإسلامي الحديث وتشكيل ملامحه العامة واتجاهاته الرئيسية. وقد اهتم بعض الباحثين في ابراز هذا الدور والتأكيد عليه والإشادة به. فهو عند «محمد اقبال» «أعظم مفكر ديني، دعا إلى بعث الإسلام والديمقراطية في العالم الإسلامي الحديث، ورفض الاستعمار والأتوقراطية. ولدى «محسن مهدي» فإن أصول الفكر الإسلامي المعاصر تعود أصولها إلى «الأفغاني» ... لقد كان «الأفغاني» بحق عاملاً فعالاً من عوامل النهضة الفلسفية في مصر من خلال دعوته إلى الإصلاح الديني والعلمي، بالإضافة إلى الدعوة إلى رقي العالم الإسلامي وتوحيده في مواجهة الغزو الأوروبي، وذلك في إطار حركة دينية تجديدية تعيد الدين إلى الفعل الإيجابي في واقع الحياة المصرية»[٣] ويبرز هذا الدور

١ـ المصدر نفسه. ص ٥٠.

٢ـ الحركات الإسلامية في القرن الاخير. الشيخ مرتضى مطهري، ترجمة: صادق العبادي، بيروت: دار الهادي، ط، ١٩٨٢ ١م، ص ٢٠.

٣ـ فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي. د. أحمد محمد جاد عبد الرزاق، هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية [١٦] ط١، ١٩٩٥م، ج١، ص ٢٢٩/٣٠٣.

«مالك بن نبي» [١٩٠٥ ـ ١٩٧٣م] بقوله: «لقد كان جمال الدين رجلاً ذا ثقافة فريدة عدّت فاتحة عهد ـ رجل الثقافة والعلم ـ في العالم الإسلامي الحديث، ولعل هذه الثقافة هي التي دفعت الشبيبة المثقفة على إثره في اسطنبول وفي القاهرة وفي طهران، وهي الشبيبة التي سيكون من بينها قادة حركة الإصلاح»[١].

ولعل الكتابات الغربية أولت الاهتمام بالتأثيرات الفكرية والثقافية للأفغاني، أكثر من الكتابات العربية والإسلامية، فقد أبرزت تلك الكتابات حركية التجديد الديني للأفغاني، ودرست حركته في هذا السياق، فهو في نظر «تشارلز آدمز» «العامل الجوهري في إحياء حركة التجديد في مصر»[٢]، ومن هذه الزاوية قدم المستشرق الألماني «كارل بروكلمان» رؤيته حول الأفغاني الذي اعتبره المؤثر الأول على الحياة الدينية في مصر، وبعبارته «فقد كان الإسلام ولا يزال هو المهيمن على الحياة الدينية في مصر. وإنما يرجع الفضل في ذلك، في المحل الأول إلى تأثير جمال الدين»[٣]. وفي هذا النطاق أيضاً جاء كتاب «الاتجاهات الحديثة في الإسلام»[٤].

١ـ وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، ط٥، ١٩٨٦م، ص ٥٠.

٢ـ الإسلام والتجديد في مصر. تشارلز آدمز، ترجمة: عباس محمود، القاهرة: لجنة دائرة المعارف الإسلامية، ١٩٣٥م، ص٧.

٣ـ تاريخ الشعوب الإسلامية. كارل بروكلمان، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، ط٩، ١٩٨١م، ص ٦١٧.

٤ـ الكتاب من تاليف هـ. أ. د جيب، ترجمة: هاشم الحسيني، بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٦٦م.

-٢-

لقد استطاع السيد «جمال الدين» أن يبعث نهضة في أمّة متعددة المذاهب والقوميات واللغات، من تركيا إلى إيران والهند وافغانستان إلى مصر والعراق، وأن يوصف بموقظ الشرق[١] أو بحكيم الشرق[٢] ووصفه «مالك بن نبي» بضمير العالم الإسلامي، ولقد شاءت الأقدار كما يقول «بن نبي» «أن تجعل من هذا الرجل في التاريخ الشاهد الصادق والحكم الصارم على مجتمع انتهى أمره في هدوء إلى انحلال، بينما أخذ الاستعمار يستقر على أرضه»[٣].

وليس من السهولة أن يكون بإمكان أي رجل أن يبعث نهضة في امّة من الأمم، مما يؤكد على عظمة الدور الذي نهض به «الأفغاني» وكشف عن قدراته القيادية ومؤهلاته الفكرية وديناميّة شخصيته ... وبالتأكيد فإن بعث نهضة في أمّة لا يتحقق إلا باقتران العوامل السياسية المرتبطة بالواقع في مكوناته وعناصره وشرائطه، بالعوامل الفكرية المرتبطة بتفسير ذلك الواقع وتحريكه وتغييره على صورة مقولات وافكار ومفاهيم.

١ـ جمال الدين الأفغاني باعث الشرق. عبد الرحمن الرافعي، القاهرة: الدار المصرية، ١٩٦١م. وكتاب جمال الدين الافغاني باعث النهضة الفكرية في الشرق. محمد سلام مدكور، القاهرة، ١٩٣٧م.

٢ـ جمال الدين الافغاني حكيم الشرق. قدري قلعجي، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٤٧م.

٣ـ وجهة العالم الإسلامي. مصدر سابق، ص٤٩.

وليس هناك نهضة من غير ان يكون للعوامل الفكرية تأثير وفاعلية، فالنهضة هي تعبيرات عن تلك العوامل الفكرية.

هذا الدور والتأثير «للافغاني» يرتبط بطبيعة الرؤية التحليلية والنقدية، الفكرية والسياسية التي كونها حول العالم الإسلامي، في فترة هي من اشدّ الفترات حساسية وخطورة، فمن جهة كانت الدولة العثمانية في حالة ضعف شديد في مركزها، وخلخلة شديدة في أطرافها، مع ما كانت تمثله هذه الدولة من قيمة رمزية جامعة لوحدة العالم الإسلامي. ومن جهة أخرى كانت أوروبا تتحرك باندفاع وعنفوان لتفتيت المنطقة واقتسام تركة الدولة العثمانية وإحكام قبضتها على مناطق نفوذها، فقد تلاحقت خلال تلك الفترة التطورات التي قلبت معها الموازين السياسية وبدلت معالم خريطة المنطقة جغرافياً فيما بعد، وارتبطت أحداثها وتغيراتها السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، بالأوضاع والتحولات التي وصلت إليها المنطقة العربية والإسلامية بعد ذلك، وتأثرت منها بصورة عامة حتى الأوضاع التي وصل إليها العالم العربي والإسلامي في ظروفه الراهنة.

الرؤية التي عبر عنها «الأفغاني» خلال تلك الفترة، لعلها أبرز وأهم رؤية في توصيف وتقويم المنطقة الإسلامية آنذاك، فكرياً وسياسياً. واكتسبت هذه القيمة والأهمية لأنها تكونت عند «الافغاني» عن طريق التجريب، والاحتكاك المباشر مع الواقع، والتفاعل الحي مع الساحة في نطاقها الواسع، والذي كان «الأفغاني» طرفاً مؤثراً وفاعلاً فيها، ومتنقلاً

بين مراكزها ـ تركيا وايران ومصر ـ ومتواصلاً مع القوى الفاعلة والمؤثرة على مستوى الحكومات والسلطات والإدارات السياسية، وعلى مستوى مؤسسات وشخصيات المجتمع الأهلي. العناصر التي أكسبت رؤية «الأفغاني» ديناميكية وموضوعية وقدرة على فهم وتفسير الحالة العامة للعالم الإسلامي وما يعترضه من مشكلات وتحديات، داخلية وخارجية. وهي الرؤية التي كانت الأكثر تأثيراً وحضوراً في ذلك الوقت. ولا عجب كما يقول «محمود قاسم» «أنه متى ذكرت حركة الإصلاح في أي بلد من هذه البلاد لم يكن بدّ من إرجاعها إليه»[1].

وقد لعب «الأفغاني» دوراً كبيراً في توسعة رقعة هذا التأثير بسفراته وتنقلاته الكثيرة، وبشبكة علاقاته وتواصلاته الواسعة، وعبر أنشطته وفعالياته المتعددة، التي يبرز منها جريدة «العروة الوثقى» التي أصدرها من باريس في [٣ مارس ١٨٨٤ ـ ٥ جمادى الأولى ١٣٠١ هـ] بالتعاون مع الشيخ «محمد عبده» والتي كانت عظيمة الأثر إلى ابعد الحدود، على الرغم من أنها لم تعش غير فتره قصيرة[2] حسب «كارل بروكلمان».

-٣-

الكتابات الغربية التي حاولت أن تدرس وتؤرخ للعالم الإسلامي في تطوراته وتحولاته الفكرية والسياسية والاجتماعية خلال النصف

١ـ جمال الدين الافغاني. محمود قاسم. ص٧.
٢ـ تاريخ الشعوب الإسلامية. مصدر سابق، ص٦١٨.

الثاني من القرن التاسع عشر، هذه الكتابات توجهت باهتمام كبير نحو شخصية «الأفغاني» وحركته الإصلاحية. والذي نفهمه من هذه الكتابات في تفسير هذا الاهتمام يرجع إلى الدور الذي مارسه «الأفغاني» في تحريض العالم الإسلامي والشعوب الإسلامية على مواجهة الغرب ومقاومة طموحاته ومشروعاته في هذه المنطقة «فقد كان أول من شكل انتفاضة الشرق ضد الغرب في المجال السياسي، وطالب كافة الشعوب الإسلامية أن تعمل جاهدة لمناهضة سلطان الغرب ... ويقرر «تيمس» أن الدعوة إلى بعث الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية لمواجهة الخطر الغربي، إنما بدأت بواسطة الأفغاني الذي يعد أول المفكرين المسلمين المجددين الذين أسهموا في تطوير التفكير الفلسفي والعلمي والسياسي»[1]. وفي نظر «كارل بروكلمان» أن «الأفغاني» هو من «بعث في نفوس الشبان المصريين الأمل في التحرر من السيادة الأوروبية إذا ما اقتبسوا ثقافة الغرب المادية ومناهجه التعليمية ابتغاء الدفاع عن الإسلام بوصفه ديناً أكثر إمعاناً في مضمار الرقي»[2].

وقد عدد الدكتور «عبد الباسط محمد حسن» بعض الكتابات الغربية البارزة التي حاولت حسب نظره، الكشف عن كثير من جوانب شخصية «الأفغاني» وتحليل الظروف الموضوعية التي أثرت عليه، وتحديد الدور الذي

١ـ فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي. مصدر سابق ص ٢٩٣. الإسلام والعصر الحديث. د. آيلز ليكتنستادتر، ص ١٨٧.

٢ـ تاريخ الشعوب الإسلامية. مصدر سابق، ص ٦١٨.

قام به في مجالات السياسة والدين والأدب[1].

وقد عرف «الأفغاني» بشخصيته المؤثرة، ولم يخف المستشرق الفرنسي «أرنست رينان» تأثره بشخصية «الأفغاني» وهو يصف لقاءه به إذ يقول: «تعرفت بالشيخ جمال الدين، فوقع في نفسي منه ما لم يقع لي إلا من القليلين، وأثر في نفسي تأثيراً قوياً، وقد خيل إليّ من حرية فكره ونبالة شيمه وصراحته وأنا أتحدث إليه، أني أرى أحد معارفي من القدماء وجهاً لوجه، وأني أشهد ابن سينا أو ابن رشد»[2] وذلك بعد المحاورة التي جرت بينهما سنة ١٨٨٣م، بعد محاضرة ألقاها «رينان» في جامعة السوربون حيث «اتهم فيها الإسلام بالعداء للعلم والتقييد لحرية العلماء، وجرد فيها العقل العربي من إمكانيات التفكير الفلسفي والمركب ... فرد عليه الأفغاني بمحاضرة طبعت في كتيب خاص، كما نشرتها صحيفة «ديبا» الفرنسية في ١٩ مايو ١٨٨٣م ... ولقد انتزع الأفغاني احترام «رينان» على نحو غير مألوف، حين قال: قلما استطاع أحد أن يؤثر في نفسي مثل ما أثر هو، ومحاورتي إياه هي التي دعتني إلى أن أجعل عنوان موضوع محاضرتي في السوربون، صلة الروح العلمية بالإسلام»[3].

١ـ جمال الدين الافغاني وأثره في العالم الإسلامي الحديث. د. عبد الباسط محمد حسن، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٢م، ص١١.

٢ـ المصدر نفسه. ص٩، نقلاً عن:

Osaman Amin: Muhammad Abduh, Essai Sur Ses I dees philosophique et Reigieuses, Le Caire 944, p5.

٣ـ جمال الدين الافغاني، الاعمال الكاملة. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، بيروت:

من هذه الحقائق وغيرها تتأكد تأثيرات السيد «جمال الدين» في تطور الفكر الإسلامي الحديث وتشكيل ملامحه العامة واتجاهاته البارزة.

-٤-

الإشكالية التي بحاجة إلى مناقشة، يصورها الدكتور «رضوان السيد» إلى أن هناك قطيعة بين الفكرين الإسلاميين الحديث والمعاصر.

إذ أن الإشكالية الرئيسية في الفكر الإسلامي الحديث، كانت إشكالية النهوض والتقدم، بينما الفكر الإسلامي المعاصر إشكاليته الأساسية الهوية ومقتضياتها وأساليب ووسائل حفظها ... وان الغالب على الحقبة المعاصرة في التفكير الإسلامي، النكوصية، فمحمد عبده متقدم على رشيد رضا، ورضا متقدم على حسن البنا، والبنا متقدم على سيد قطب، وقطب متقدم على عمر عبد الرحمن[1] وبالتأكيد فإن الافغاني متقدم على عبده.

لا شك أن هذه الإشكالية بحاجة إلى توقفات ومراجعات في تاريخنا الفكري والاجتماعي والسياسي، لوضع تفسيرات لما اصطلح عليه «رضوان السيد» بالنكوصية. حيث نجد أن الشيخ «محمد عبده» يتراجع عن مشروع «الأفغاني» في الإصلاح السياسي والنقد السياسي، ويتراجع «رشيد رضا» عن مشروع «عبده» في الإصلاح الفكري والنقد الفكري. التراجع الذي

المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧٩م، ج١، ص ٤٠.

١- سياسيات الإسلام المعاصر، مراجعات ومتابعات. د. رضوان السيد، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م، ص ٨٧.

يصوره «رضوان السيد» بقوله: «كان السيد محمد رشيد رضا من الإصلاحيين الذين انحازوا للسلفية في النصف الثاني من العقد الثاني من هذا القرن. وقتها اكتشف ابن تيمية ثم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وانصرف للعناية بالسنة، والرجوع إليها في اجتهاداته الفقهية»[1].

ما الذي جعل الفكر الإسلامي الحديث يظهر تقدماً في مجال الأفكار وفي الرؤى التي عبر عنها في ميادين الاجتماع والسياسة والقانون والدستور، مقارنة ومقاربة بالفكر الإسلامي السابق عليه، وبالفكر الإسلامي اللاحق عليه؟ ودور السيد جمال الدين في هذا التقدم؟

أرتبط هذا التقدم بالسياقات الفكرية والإجتماعية والسياسية التي مثلت بيئات الفكر الإسلامي الحديث، مكانياً وزمانياً، والشرائط الموضوعية التي في ظلها شكل هذا الفكر عناصره ومضامينه ومكوناته، وفي ظلها أيضاً عبر عن مفاهيمه وافكاره ومنظوماته.

التقدم الذي أنجزه هذا الفكر نستكشفه من خلال الحقائق التالية:

أولاً: لقد ارتبط الفكر الإسلامي الحديث بواقع المجتمع والدولة بصورة وثيقة، كما لو أنه جزءٌ من هذا الواقع، معنياً بتطويره وإنمائه. «فرفاعة الطهطاوي» ارتبط بالدولة المصرية في عهد «محمد علي باشا» وقد عبر عن هذا الارتباط في كتابه «مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية» صدر سنة ١٨٦٩م بقوله: «من المعلوم أن مصر في هذا العهد من أحسن

١ـ المصدر نفسه. ص ٤٢.

البلاد المشرقية حكومة، وأفضلها إدارة، إذ فيها من كمال حسن الإدارة والضبط والربط ما يفيد الأمن على الأرواح والأموال والأعراض، كما في أعظم الممالك الشرقية والمغربية»[1]. وعن رؤيته في تطوير هذا الواقع ـ الدولة المصرية آنذاك ـ يقول «الطهطاوي» «جميع ما يجب على المؤمن لأخيه المؤمن يجب على أعضاء الوطن في جميع حقوق بعضهم على بعض، لما بينهم من الأخوة الوطنية فضلاً عن الأخوة الدينية فيجب أدباً لمن يجمعهم وطن واحد التعاون على تحسين الوطن، وتكميل نظامه فيما يخص شرف الوطن وإعظامه وثروته، لأن الغنى إنما يستحصل من انتظام المعاملات وتحصيل المنافع العمومية، وهي تكون بين أهل الوطن على السّوية لانتفاعهم جميعاً بمزية النخوة الوطنية»[2].

وارتبط «خير الدين التونسي» بالدولة العثمانية، حيث تولى الوزارة الكبرى في تونس سنة ١٨٧٠م، وأنجز اصلاحات هامة في الإدارة والتعليم والصحة والاقتصاد. فقد أنشأ أول محجر صحي في تونس العاصمة، وأسس المدرسة الصادقية التي كانت أول معهد تونسي تدرس فيه العلوم العصرية[3].

وعبر عن رؤيته في تطور وتقدم المجتمع والدولة في كتابه «أقوم المسالك

١ـ مناهج الألباب المصريه في مباهج الآداب العصرية. رفاعة رافع الطهطاوي، القاهرة: مطبعة شركة الرغائب، ص ١٧٧.

٢ـ المصدر نفسه. ص ٤٠٦.

٣ـ الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، مصدر سابق ص ٩٩.

في معرفة أحوال الممالك» الذي من بواعث كتابته كما يقول: «إغراء ذوي الغيرة والحزم من رجال السياسة والعلم بالتماس ما يمكنهم من الوسائل الموصلة إلى حسن حال الأمّة الإسلامية، وتنمية أسباب تمدنها، مثل دوائر العلوم والعرفان، وتمهيد طريق الثروة من الزراعة والتجارة، وترويج سائر الصناعات، ونفي اسباب البطالة. واساس جميع ذلك حسن الإمارة المتولد منه الأمن، المتولد منه الأمل، المتولد منه اتقان العمل المشاهد في الممالك الأوروباويه بالعيان، وليس بعده بيان»[1].

وهكذا ارتبط الشيخ «محمد عبده» بواقعه السياسي والعلمي والديني، الذي كان واضحاً في عهد الخديوي «عباس» إذ عينه في مجلس إدارة الأزهر وأوكل إليه تقديم مشروع عن الإصلاح المرجو في الأزهر. وفي عام ١٨٩٦ تولى الإفتاء في مصر ... واختير عضواً في مجلس شورى القوانين، ومجلس الأوقاف والجمعية الخيرية الإسلامية[2].

أما السيد «جمال الدين» فكان واضحاً ارتباطه الشديد والواسع بالمجتمع والدولة على مستوى اقطار عديدة من دول العالم الإسلامي في مراكزه وأطرافه من تركيا إلى إيران ومصر والعراق والهند وأفغانستان الدول التي أقام فيها على فترات وفي أزمنة مختلفة، ومتواصلاً فيها مع حكومات هذه الدول إلى جانب تواصله الفاعل مع المجتمع الأهلي، وكان يطالب هذه الدول بالإصلاح السياسي والتقيد بنظام الشورى عن طريق المجالس

١ـ أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك. خير الدين التونسي، ص٥.
٢ـ زعماء الإصلاح في العصر الحديث. أحمد أمين، القاهرة: مكتبة النهضة، ص ٣١٣.

الدستورية والبرلمانية وإنجاز مطالب الأمة ... وتصليب مواقف هذه الدول في مواجهة التحدي الأوروبي.

هذا الارتباط الحيوي بالواقع من موقع التأثير عليه كان بمثابة مختبر لإمتحان وتجريب وتطوير أفكار ومفاهيم ونظريات، رجالات الفكر الإسلامي الحديث. والقاعدة أن الفكر لا يأخذ دورته الحيوية في النمو والتجديد والتقدم إلا في إطار علاقته الفاعلة بالواقع.

لا ننفي أن الفكر الإسلامي السابق على هذا العهد كان على ارتباط بالواقع، لكنه كان ضيقاً ومحدوداً وبعيداً عن المجالات العامة. أما الفكر الإسلامي المعاصر فقد أحاطت به ظروف من الانكماش والانغلاق، والقدر الذي أتيح له من الارتباط بالواقع كان هامشياً ويفتقد القدرة الحقيقية على التأثير عليه. وبعض تيارات هذا الفكر قطعت صلتها بالواقع، وتيارات أخرى تعاملت مع الواقع بمنطق الصدام الساخن. وبصورة عامة فإن هناك توتراً وتأزماً في العلاقة التي تربط الفكر الإسلامي المعاصر في حالته العامة بالواقع.

ثانياً: إن بيئات الفكر الإسلامي الحديث كانت تمثل حواضر متقدمة في ارثها التاريخي والفكري والحضاري على مستوى العالم الإسلامي، مثل بيئات مصر والعراق وايران وحتى تركيا. ولاشك أن طبيعة هذه البيئات ومكوناتها التاريخية والاجتماعية تترك أثرها الواضح على بنية الأفكار ومنهجيتها الذاتية ونظامها التفكيري واتجاهاتها العامة. وحسب «ابن خلدون»

فإنه يفسر انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب في تلك القرون إلى محدودية العلم والثقافة في تلك البيئة آنذاك. وهناك من يفسر ظهور ما عرف في تاريخ التشريع الإسلامي بمدرسة أهل الرأي في العراق لطبيعة هذه البيئة التي مرت عليها حضارات عريقة، وهذا ما يذهب إليه «محمد علي السايس» إذ يرى «أن المسائل التي يحتاج الى عرف أحكامها في العراق أكثر منها في الحجاز نظراً لبداوة الحجاز وحضارة العراق، فاذا انضم ذلك الى قلة مايعولون عليه من الأحاديث أنتج ذلك لامحاله اعمال الرأي»[1]. وقد حاول الدكتور «محمد البهي» ان يقارن بين دعوة «محمد بن علي السنوسي» الكبير في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى من جهة، وبين السيد «جمال الدين» من جهة ثانية، فان أول ملاحظة يسجلها «البهي» ذات علاقة بطبيعة البيئة، فهو يرى أن «السنوسي الكبير» عاش في الصحراء، وان ارتحل عنها فالى داخل البلاد الاسلامية، وبعض هذه البلاد شبيه ببعض ... والمثل الذي كان ينشده يعيش فى تاريخ الماضي، وهو حال المسلمين الأول، والذي هو أمل وغايه يقدم عليها التابعون للدعوة بدافع محض الاعتقاد والتصور المثالي، أكثر من دافع الحقيقة المشاهدة ... في حين ـ حسب البهي ـ ان جمال الدين الافغاني كان ينتقل بين الحواضر الاسلامية والحواضر الأوروبية، وينتزع الأمثلة المحسوسة من تاريخ الشعوب ومن تاريخ الأمّة الاسلامية نفسها[2].

١ـ تاريخ الفقه الإسلامي، محمد علي السايس، القاهرة، ص ٨٦.

٢ـ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، القاهرة: مكتبة وهبة، ط١٢، ١٩٩١م، ص ٦١.

كما أن هذه البيئات كانت مفتوحة على بعضها، والفكر الاسلامي الحديث كان متواصلاً ومتفاعلاً بين هذه البيئات، بين مصر وايران وتركيا والعراق والهند وافغانستان. وقد مثل السيد «جمال الدين» أبرز حلقات هذا التواصل بين هذه البيئات. الحالة التي يفتقدها بشدّة الفكر الاسلامي المعاصر الذي يعانى القطيعة الفكرية بين بيئاته فى العالم العربي والاسلامى، وهي من أكثر الاشكاليات تأثيراً على حركة نموه وتطوره وتجدده.

ثالثاً: الرؤية التي تتحدد تجاه الغرب والحضارة الغربية تعكس ملامح بارزة في مكونات المنظومة الفكرية التي عبرت عنها هذه الرؤية، وتكشف عن نظامها في التفكير ومنهجيها الذاتية. ذلك لأن الغرب كان أعظم مؤثر على العالم الاسلامي منذ العصر الحديث، ومازال الى هذا اليوم يعتبر أكبر مؤثر على العالم بصورة عامة. فالمنظومات الفكريه الاسلامية احتكاكها شديد وواسع بالغرب، منذ زمن طويل الوضع الذي فرض على هذه المنظومات أن تضع الغرب في معاييرها ومنهجيتها. ولما يمثله من جهة أخرى من تطور حضاري متقدم، فهو صاحب أكبر حضارة في هذا العصر، الأمر الذي يعني أن الرؤية التي تتحدد تجاه الغرب تكشف عن مستويات التطور والنضج والعمق للفكر الذي عبر عن هذه الرؤية.

والذي نلاحظه أن الفكر الاسلامي الحديث استطاع أن يكوّن رؤية حول الغرب، كانت على قدر من الاختلاف والتميز والتطور نسبياً، عن فترات

الفكر الاسلامي السابقة واللاحقة، يذهب «محمد البهي» الى أن أبرز داعيتين للسلفية في القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر «لم يعرف كل منهما نظم الغرب في حياة الأوروبيين بعد نهضته. لم يعرف كل منهما معرفة مباشرة حياة عملية أخرى مستقيمة نوعاً ما عن حياة المسلم في ذاك الوقت، تسير في مكان آخر وراء رقعة العالم الاسلامي، ويسودها صالح الأمّة لاصالح الحاكم، ويسيطر عليها صالح الأفراد جميعاً لاصالح الراعي وحده ... كلاهما يقف فى تكتيل المسلمين ضد النفوذ الخارجي عن طريق استعراض أوصاف الكفر والايمان في ذهن المسلم، ومايجب على المسلم اتباعه في شأن الولاية العامة قِبَلَ غير المسلم من الحكام والولاة، اذا قيض لهؤلاء أن يديروا أمر المسلمين»[1].

فالغرب هو العدو الخارجي الكافر والملحد ... هذه هي العناوين التي تشكل لغة الخطاب في رؤية هذا الفكر للغرب. أما الفكر الاسلامي المعاصر فكان منفعلاً بالغرب السياسي، والرؤية التي عبر عنها كانت تفتقد العمق الفلسفي والتحليل التاريخي، وتكوين المعرفة الناضجة والمستوعبة للتطور والتقدم الذي أنجزه الغرب.

لذلك فان الفكر الاسلامى الحديث لعله أنضج من عبر عن رؤية في التواصل مع الغرب، «وعلى عكس حركات التجديد السلفية - حسب محمد عمارة ـ التي كانت تحذر من مخالطة الأوروبيين فضلاً عن التفاعل

١ـ المصدر نفسه، ص ٦١. ٦٣.

معهم والأخذ عنهم، لأنها كانت تعيش في اطار الفكر القديم الذي استقر منذ العصور الوسطى، والذي يقسم الناس الى مؤمنين وكفار، على عكس هذا الموقف دعا الطهطاوي الي مخالطة الأوروبيين والتفاعل مع حضارتهم، والاقتداء بهم والاخذ عنهم فيما لايخالف الشريعة والدين»[1] وقد عبر «الطهطاوي» عن رؤيته للغرب والحضارة الأوروبية في كتابه «تخليص الابريز في تلخيص باريز» الذي هو عبارة عن مشاهداته وملاحظاته وتقييماته، خلال فترة اقامته فى فرنسا [١٨٢٦ ـ ١٨٣١م] ضمن البعثة المصرية التي بعثها «محمد علي» وفي نظر «عمارة» فان هذا الكتاب يعد «أول نافذة أطل منها العقل العربي على الحضارة الأوروبية الحديثة»[2].

وكتب «خير الدين التونسي» كتاب «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» الذي شرح فيه رؤيته للغرب وبالذات على صعيد تطور النظم السياسية والدستورية والإدارية والقانونية، وهي الجوانب التي حاول أن يستفيد منها عملياً خلال فترة توليه الوزارة الكبرى في تونس، وبصورة عامة فقد أبرز «التونسي» الجوانب الإيجابية للغرب والتي لا تتعارض حسب وجهة نظره مع القانون الإسلامي والشريعة الإسلامي. وكشف «محمد اقبال» عن معرفة فلسفية عميقة ونقدية للفكر الأوروبي، من خلال كتابه

١ـ تحديات لها تاريخ. د. محمد عمارة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ط٢، ١٩٨٢م، ص ١٧٥.

٢ـ المصدر نفسه. ص ١٧٤.

«تجديد التفكير الديني في الإسلام».

أما السيد «جمال الدين» فقد قام بزيارات عديدة لبعض الدول الأوروبية مثل فرنسا وانجلترا وألمانيا وروسيا، وتواصل مع بعض حكومات هذه الدول كانجلترا مثلاً، ومع بعض المفكرين فيها كـ «أرنست رينان» في فرنسا. وتأثرت رؤيته التي كونها حول الغرب بممارسات أوروبا التجزيئية والتوسعية للبلاد الإسلامية. وكان محرضاً لمقاومة الهيمنة الأوروبية على هذا البلاد، وداعياً لرفض تقليد الغرب، مع التأكيد على الإستفادة من منجزاته العلمية والصناعية.

رابعاً: القضايا والمسائل الفكرية التي تعاطى معها الفكر الإسلامي الحديث، كانت على درجة كبيرة من الأهمية، حيث تعامل معها بمنهجية تتجاوز منطق الثنائيات الجدلية، وطريقة السجال الإحتجاجي. وقدم حولها اجتهادات ووجهات نظر تعتبر ناضجة ومتقدمة. من هذه القضايا والمسائل الفكرية، فكرة المواطنة والعلاقة بين المجتمع والدولة التي طرحها «الطهطاوي»، وفكرة الدساتير والتنظيمات الإدارية والسياسية التي طرحها «التونسي»، والجامعة الإسلامية التي طرحها «الأفغاني»، وتجديد التفكير الديني الذي طرحها «إقبال»، والإصلاح الفكري والتعليمي الذي طرحه «عبده»، ومشاركة المرأة في المجالات العامة التي طرحها «رشيد رضا»، والقضية التي يتفق عليها جميع هؤلاء هي ربط التقدم بالدين.

بينما الفكر الإسلامي المعاصر تعامل مع بعض هذه الأفكار والقضايا

بصورة جدلية وسجالية، وبنوع من الحذر والتحفظ نتيجة المقارنات والمقاربات مع الثقافة الغربية، مع ضمور في مستوى الإبداع والتجديد والتطوير. وقد غاب الاهتمام عن بعض تلك القضايا مثل الجامعة الإسلامية، وتوقف التفكير عن بعضها الآخر مثل فكرة المواطنة، وحصل تراجع في قضايا مثل النظر في شؤون المرأة.

في حين أن الإصلاحية الإسلامية، كما يذهب الدكتور «رضوان السيد» وكما يصطلح عليها هو، قد حققت «فيما بين منتصف القرن التاسع عشر، وثلاثينات القرن العشرين إنجازات بارزة في شتى المجالات، العام منها والخاص. وأبرز ما يمكن ذكره: مفاهيم المواطنية، وعلاقة المسلمين بغير المسلمين فيما كان يعرف قديماً بدار الإسلام ودار الحرب، ومسألة الدستور»[1].

وفي نظر الدكتور «حميد عنايت» «هناك أوجه عديدة من التشابه بين مظاهر تطور الأفكار السياسية الجديدة بين العثمانيين والمصريين والإيرانيين في القرن التاسع عشر، على الرغم من الاختلافات الكثيرة الموجودة في الأرضيات الاجتماعية والتاريخية»[2] والقضية التي يريد أن يشير إليها «عنايت» في هذا الكلام، ويبرزها هي مسألة الدستور.

خامساً: التواصل الذي تحقق في مرحلة الفكر الإسلامي الحديث بين

١ـ سياسيات الإسلام المعاصر، مراجعات ومتابعات. مصدر سابق، ص١٥٩.

٢ـ الفكر السياسي الإسلامي المعاصر. حميد عنايت، ترجمة: د. إبراهيم الدستوقي شتا، القاهرة: مكتبة مدبولي، ص ٣٢٨.

النخب والجماعات الفكرية والدينية، كان على درجة من الإيجابية والانفتاح والحيوية، كشف عن قدرة هذا الفكر على تجاوز بعض الإشكاليات والحساسيات والهواجس التي اعترضت فكر الدعوة السلفية وتعاملت معها بطريقة متشددة وصدامية، حيث حاولت تقسيم الناس على أساس ديني، وتصلبت في القضايا المختلفة عليها دينياً ضمن الإطار الإسلامي، وتكرست في مرحلة هذا الفكر الفروقات الدينية والمذهبية، وكان الوضع الديني في بلاد المشرق من هذه الناحية في حالة توتر وتشنج في أحيان كثيرة.

أما حال الفكر الإسلامي المعاصر فصورته بوجه عام تغلب القطيعة والتصادم على مستوى النخب الفكرية ذات المشارب المختلفة، وهكذا الحال على مستوى الجماعات والمذاهب الدينية، من غير ان ندخل في توصيفات هذا الوضع الذي نفترض فيه الوضوح والانكشاف.

لذلك فإن الفكر الإسلامي الحديث كان متميزاً ومتقدماً من هذه الناحية، ويبرز مظاهر النضج، وإمكانية أن يتجاوز الفكر الإسلامي هذه الإشكاليات إذا ارتبط بمشروعه الحضاري وبالقضايا والمشكلات الكبرى في الأمّة.

لقد مثّل السيد «جمال الدين» أحد أبرز صور هذا التواصل، بحيث استطاع التأثير على العديد من النخب، مثقفين وصحفيين وأدباء وسياسيين، ومن جملة تلامذته حسب الدكتور «عبد الباسط محمد حسن»

«يعقوب بن صنوع» [١٨٣٩ـ١٩١٢م] و«أديب اسحاق» [١٨٥٦ ـ١٨٨٥م] و«عبد الله النديم» [١٨٤٥ـ١٨٩٦][1].

وعلى المستوى الديني فقد كان «جمال الدين» أفضل من تمثل تجسير العلاقة بين الثقافتين السنية والشيعية، وكان نموذجاً لهذا التواصل، وأحد مكونات شخصيته وثقافته وحركته الإصلاحية، جعلت منه مؤثراً فاعلاً في بيئات هاتين الثقافتين، وهو من القلائل جداً الذي ترك هذا المستوى من التأثير في البيئات السنية والشيعية. فكان رمزاً للتضامن الإسلامي والحوار الإسلامي والتكامل الإسلامي، وممارساً لفكرة الجامعة الإسلامية التي هي من أبرز أفكار حركته الإصلاحية.

-٥-

لعل في هذه الملاحظات ما يفسر تميز وتقدم المرحلة التي كان عليها الفكر الإسلامي الحديث، ودور السيد «جمال الدين» في انبعاث هذا الفكر وتطوره وتقدمه ...

كما أن هذه الملاحظات تكشف وتؤكد على ضرورة أن يعالج الفكر الإسلامي المعاصر قطيعته الفكرية مع الفكر الإسلامي الحديث، الإشكالية التي أفقدته تراكماً معرفياً في غاية الاهمية والحيوية.

وتكشف من جهة أخرى ما يفترض أن يراجعه الفكر الإسلامي المعاصر

١ـ جمال الدين الافغاني واثره في العالم الإسلامي الحديث. مصدر سابق.

ويؤسس له، وهو يتطلع للتجديد والتقدم، أن يراجع ويؤسس من جديد الانفتاح والتواصل بين بيئات هذا الفكر التي تتصف بقدرات وإمكانات في التقدم الفكري والعلمي نسبيّاً، مثل بيئات ماليزيا وإيران وتركيا وباكستان والهند وبعض الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي سابقاً. وكذا الانفتاح والتواصل وتجسير العلاقة بين منظومتي الفكرالإسلامي السنية والشيعية، والتواصل مع النخب الفكرية بعيداً عن التشنجات والتصادمات، وتجديد العلاقة مع الغرب على قاعدة نقدية.

هذه بعض مهام الفكر الإسلامي المعاصر وهو يبحث عن مستقبل له في القرن الحادي والعشرين.

الفصل الثاني

تطورات الفكر الإسلامي

ومساراته المعاصرة

-١-

منظومات الأفكار العالمية: تحولات ومراجعات

الفكر الإسلامي كمنظومة ثقافية حضارية، يمثل مادة حيوية في الاشتغال الفكري على النطاق العالمي اليوم، حيث يفوق من هذه الناحية، ويتقدم على أهم المنظومات الثقافية والدينية والسياسية في العالم. وفي هذا الوقت بالذات من تاريخ العالم المعاصر، الذي نشهد فيه التحولات الكبرى، والانهيارات الكبرى. وما يهمنا من تلك التحولات، تلك التي تتصف بالأبعاد الثقافية والحضارية، وإن كان من الصعب عند النظر الدقيق تفكيك الارتباط ما بين التحولات الأخرى، السياسية والاقتصادية والتقنية، عن جوانبها الثقافية والحضارية.

وفي مقدمة هذه التحولات الثقافية، انهيار المنظومة الشيوعية في العالم، التي خرجت من دائرة الحداثة إلى دائرة التراث. المنظومة التي قدمت نفسها إلى العالم وبالذات في أوروبا كبديل حضاري عن الليبرالية

الرأسمالية، ودخلت معها في حرب باردة، وظفت لها العديد من مصادر القدرة ووسائل الصراع، من بعد الحرب العالمية الثانية. وشكلت لنفسها مذاهب في مختلف اتجاهات المعرفة الإنسانية والاجتماعية كالأدب والفن والاجتماع والنفس والاقتصاد والسياسة والتاريخ عرفت بالمذهب الماركسي في هذه العلوم.

وبعد سبعة عقود من الزمان، وفي فترة قياسية سريعة غير متوقعة عند الأوساط العالمية كافة، يحصل الانهيار الذي أذهل العالم في حجمه وسرعته وتداعياته على باقي المعسكر الشرقي في أوروبا. الانهيار الذي أدخل العالم الشيوعي في حالة من الإضطراب الفكري الحاد والقلق النفسي وجعله على مفترق طرق، الوضع الذي يكون في العادة من أصعب اللحظات، فكرياً ونفسياً، بين التمسك بالشيوعية وعلى مرمى أنظاره تنهار أمجادها، وبين اللحاق بالغرب الرأسمالي الذي يعتد بأمجاده ويبالغ بها، وبين التوقف والانتظار حتى تهدأ العاصفة وتنقشع.

إلى جانب هذه المفترقات كان هناك اختيار حضاري آخر هو اكتشاف الإسلام. فهذا الاختيار كان حاضراً، وإن كانت حصته هي الأقل في العالم الشيوعي بالذات. مع ذلك لا يمكن التقليل من شأنه أو إلغائه. فمع هذا الاختيار كان «روجيه غارودي» من فرنسا و «إحسان طبري» من إيران. وهما من كبار مفكري الشيوعية في العالم. كما كان اختيار نخبة من مثقفي العالم العربي والإسلامي الذين وجدوا في الإسلام ما يعوضهم عن

الشيوعية وبالذات في جوانب العدالة الاجتماعية والنهوض الجماهيري.

وبالتأكيد فإن هذا السقوط للشيوعية ترك أثره الواضح على المعالم الحضارية في هذا العالم المعاصر. وهذا ما يهتم بدراسته بعض النخب من الباحثين والأكاديميين لمعرفة مستقبليات العالم الحضارية.

إلى جانب هذا التحول وقبله بنصف عقد من الزمن، وفي إطار التحولات الثقافية التي شهدها العالم. كان هناك الانبعاث الإسلامي الآخذ في النمو والاتساع على إمتداد رقعة العالم الإسلامي من طنجة في الغرب إلى جاكرتا في الشرق. الانبعاث الذي كشف للعالم قدرة الإسلام على الإحياء والنهوض في عصر يعيش أرفع مستويات الحداثة، وهو على أعتاب قرن جديد، وآفاق حضارية جديدة.

الانبعاث الذي أراد «فوكوياما» أن يقلل من أهميته في مقولته الشهيرة «نهاية التاريخ» ويعتبره بأن لا جاذبية له خارج محيطه الإسلامي، ولا تأثير له على المستوى العالمي. بعكس ما ذهب إليه «هانتينغتون» في مقولته «صدام الحضارات» الذي ذهب إلى أن الدين مركزي في العالم الحديث، وربما كان هو القوة المركزية التي تحرك الناس وتحشدهم. وأراد أن يلفت الغرب إلى صعود الإسلام الذي قد يكون كما يحلل الأكثر خطورة في صدام الحضارات مع الغرب مستقبلاً[1]. الرأي الذي يعتبره «إدوارد سعيد»

١ـ صدام الحضارات. مجموعة من الباحثين، بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ١٩٩٥م، ص ٨٤ ـ ٢٥.

بأن هذه الأفكار تحيي معها روح الحرب الباردة، إلا أن العدو بات الإسلام والعالم الثالث بدل الشيوعية والإتحاد السوفيتي[1].

فبعد زمن طويل من الانحسار والتراجع الحضاري، حتى بات الاعتقاد عند أوساط عالمية كثيرة في الغرب والشرق بأن الإسلام لا عودة له، بعد أن اكتسحت الحداثة والعلمانية العالم برمته، وبعد كل هذا التقدم والتطور الشامل الذي جعل من هذا القرن الأخير فاصلاً حضارياً عن القرون السابقة عليه، وإن ما بقي من الإسلام ما هو إلا تراث وذاكرة تاريخية وعاطفة عند الناس. في ظل هذه الاعتقادات وغيرها التي ما كانت تقبل الشك في نظر أصحابها، يأتي الانبعاث الإسلامي وبزخم كبير يفاجئ به العالم، وهو في أشدّ مراحله التاريخية حساسية حيث الهزات العنيفة في كل جهات العالم والمخاضات الخطيرة في كل جانب منه، في السياسة والفكر والاجتماع والاقتصاد والاعلام والجغرافية والتكنولوجية وحتى الطب إلى غير ذلك، وهي المخاضات التي تسبق التحولات الحضارية المهمة.

والانبعاث الإسلامي الذي جاء مع هذه الأوضاع إنما ليؤكد حضور الإسلام في هذا العالم مهما كانت مستويات التقدم التي وصل إليها. وإن ليس في قدرة قادر مهما اجتمعت عنده من مصادر القدرة أن يعزل الإسلام أو يغيبه عن حركة التاريخ.

١ـ من محاضرة القاها إدوارد سعيد في بريطانيا، بعنوان «صراع الحضارات أو خلافات في التعريف» انظر: جريدة الحياة (لندن) العدد ١١٦٨٦، ١٧ فبراير ١٩٩٥م.

والقناعة تتأكد من وقت لآخر في هذا العالم على أن الإسلام من الممكن أن يكون أحد الخيارات الحضارية العالمية البديلة. أو كما عبر عنه «مراد هوفمان» في عنوان كتابه «الإسلام كبديل»[1]. أو «روجيه غارودي» في كتابه «الإسلام دين المستقبل»[2]. أو «عزت بيكوفيتش» في كتابه «الإسلام بين الشرق والغرب»[3]. والمهم في هذه الكتابات أنها تكشف عن ظاهرة آخذة في النمو والاتساع داخل المجتمعات الغربية. الظاهرة التي تستوقف اهتمام الغرب وتثير فيه حالة من الحذر في طريقة التعاطي معها.

إذن فبين منظومة تنهار هي الشيوعية، ومنظومة تتصاعد هي الإسلام، فماذا عن الغرب ومنظومته الليبرالية!

إذا أخذنا هذه المنظومة من خلال مقولة «نهاية التاريخ» فهذا يعني أن الغرب في حالة من التفاؤل إلى درجة المبالغة. وإذا أخذنا هذه المنظومة من خلال مقولة «صدام الحضارات» فهذا يعني أن الغرب في حالة من الحذر والقلق من المستقبل.

وهاتان المقولتان من أهم وأبرز المقولات والأفكار التي جاءت من الغرب في تفسير مستقبليات التحولات العالمية لمرحلة ما بعد الحرب الباردة، واستقطبت اهتماماً عالمياً، وفتحت حوارات جادة في مختلف

١ـ صدرت الترجمة العربية لهذا الكتاب في بيروت بدون ذكر الناشر، ترجمة: م. محمد مصطفى مازح، ١٩٩٣م، والمؤلف هو سفير ألمانيا السابق في المغرب.

٢ـ صدر الكتاب عن دار الإيمان في بيروت، ترجمة: عبد المجيد بارودي، ١٩٨٣م.

٣ـ صدر الكتاب عن دار الشروق بالقاهرة، بالتعاون مع مجلة النور الكويتية، ودار بافاريا الالمانية، ١٩٩٤م.

قارات العالم.

وقد كشف عن هاتين الحالتين «زبيغنيو برجنسكي» في كتابين من تأليفه، كان في الأول متفائلاً وهو كتاب «الفشل الكبير: ميلاد وموت الشيوعية» الذي صدر في عام ١٩٨٩م، وفي الثاني حذراً وقلقاً وهو كتاب «الإنفلات: الاضطراب العالمي عشية القرن الواحد والعشرين» الذي صدر في عام ١٩٩٣م. ويعبر عن هذا القلق «كيشوري محبوباني» من سنغافورة حيث يقول: في العواصم الغربية الأساسية إحساس عميق بالقلق تجاه المستقبل، فالثقة بأن الغرب سيظل قوة مسيطرة في القرن الحادي والعشرين مثلما حدث في القرون الأربعة أو الخمسة الماضية، تخلي مكانها لإحساس بنُذُر الشر من أن قوى مثل الإسلام الأصولي المنبعث، ونهوض شرق آسيا، وانهيار روسيا وأوروبا الشرقية، قد تشكل تهديداً حقيقياً للغرب. ويختم مقالته التي جاءت في معرض نقد «صدام الحضارات» وفي آخر سطر منها: على المرء أن يقف خارج الغرب ليرى كيف أن الغرب يتسبب في انهياره النسبي بيديه[١].

وبوضوح أكثر نلمس هذا القلق في التقرير الاستراتيجي السنوي للمعهد الفرنسي للعلاقات الدولية وهو تقرير «رمسيس ١٩٩٥م»[٢].

ولايسعنا المجال أن نرصد كل الأفكار والآراء التي تكشف عن حالة

١ـ صدام الحضارات، مصدر سابق، ص ٥٧ ـ ٦٢.

٢ـ جريدة الحياة (لندن) العدد ١١٧٩٨، ١٢ يونيو ١٩٩٥م. قراءة في تقرير فرنسي عن العلاقات الدولية الجديدة، قيس جواد العزاوي.

القلق التي يعيشها الغرب حول مستقبلياته في العالم، الآراء التي تزايدت في السنوات الأخيرة.

وما نخلص إليه أن أبرز المنظومات العالمية الكبرى تمر بتحولات ومراجعات، فبين منظومة تنهار هي الشيوعية، وبين منظومة في حالة قلق هي الليبرالية، وبين منظومة تعيش الانبعاث وهي الإسلام.

هذا على مستوى الإيديولوجيات أما على مستوى الديانات. فالحقائق تشير إلى أن الإسلام من بين الديانات الكبرى (المسيحية واليهودية والديانات الشرقية) هو الأكثر انتشاراً بين الأمم والشعوب في قارات العالم. وهذا ما يتوجس منه الغرب، وأصحاب الديانات. ومن أبلغ هذا التوجس ما ورد في منشور البابا يوحنا بولس الثاني، الصادر في أواخر ١٩٩٠ والذي يحذر فيه الغرب من أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتحدى انتشار المسيحية، وهناك تزايد في الإقبال على الإسلام وانحسار في المناطق المسيحية في الشرق الأدنى وإفريقيا، وهناك جسور للإسلام تتزايد في جنوب أوروبا[1].

والظاهرة التي تلفت أنظار الغرب وتُحيّره، هو النمو المتزايد للإسلام في داخل المجتمعات الغربية. الظاهرة التي تخضع لدراسات مكثفة وموسعة لمعرفة اسبابها وجذورها ومكوناتها وتداعياتها. ومصدر الحيرة عند الغرب

١ـ الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين. د. شوقي أبو خليل، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٥م، ص ١٠. انظر كتاب:

Tyenew York Times INTERNATIONAL, Wednesday, January 32, 1991.

هو كيف لهؤلاء أن يتخلوا عن الحداثة بعد كل هذه المنجزات الحضارية الهائلة في الحضارة الغربية، ويذهبوا إلى الإسلام الذي يفتقد لهذه الحداثة، وليست له من المنجزات الحضارية التي تقارن بما عند الغرب اليوم؟

من جهة أخرى فالغرب الذي عمل ولعدة قرون ليحاصر الإسلام في عقر داره، ويكبح جماح انتشاره وامتداده خارج محيطه، وإذا به ينتبه، والإسلام على أبوابه، ويخترق حصونه المنيعة، حصون الحداثة والتقنية والتقدم.

والذي يشهد على هذه الظاهرة الكتاب الذي صدر في النصف الثاني من عقد الثمانينات من هذا القرن في فرنسا وأثار ضجة في وقته داخل المجتمعات الغربية، وهو كتاب «من إيمان إلى آخر» وهو من تأليف الفرنسية «ليزبث روشيه» والمغربية «فاطمة الشرقاوي» حيث أمضيتا ثلاث سنوات ـ كما تقولان ـ من البحث في أوروبا وأمريكا لمعرفة الأسباب التي تدفع الغربيين إلى الإقبال على اعتناق الإسلام. وفي نظرهما أن: الجميع يعتقد بأن الإسلام يقدم الخلاص بعدما أصيبت الحضارة الغربية بتصدعات خطيرة حولت الإنسان إلى مجرد تمثال من الغار. وذكر الكتاب أن [٢٠,٠٠٠] شخص دخلوا الإسلام في فرنسا، وثلاثة ملايين في أمريكا. وتضيفان: أن ما يلفت نظر الباحثين هو أن الإسلام الديانة الوحيدة الأكثر توسعاً في هذا العصر، فيما تتقلص الأديان الأخرى. وإن الأكثرية الساحقة من أولئك الغربيين الذين اعتنقوا الإسلام إنما فعلوا ذاك لقناعات عقائدية، وليس

بدافع أي عامل سياسي، فمنهم الفيلسوف والموظف في المصرف ومن ينتمي إلى عائلات متدينة وعريقة إلى غير ذلك. وحول نشأة فكرة هذا الكتاب تقول الكاتبتان: إن الفكرة برزت خلال لقاء مع موظف في الخطوط الفرنسية الذي قال لهما أن بين يديه الآن اربعين جواز سفر تعود لمواطنين فرنسيين اعتنقوا الإسلام أخيراً، وإن هؤلاء حجزوا أماكن لأداء فريضة الحج. ومنذ تلك اللحظة كما تقول الكاتبتان قررنا أن نقوم ببحثنا هذا في أوروبا وأمريكا. وإن أهم ما توصلنا إليه ـ والكلام لهما ـ أن الدوافع العقائدية لدى كل شخص أو لدى كل فئة كانت مختلفة من شخص لآخر، ومن فئة لآخرى. وهذا يعكس الثراء العقائدي الذي في الإسلام[1].

نكتفي بهذه الحقائق ونغض النظر عن المتغيرات السياسية لاتساعها ووضوحها وانشغال العالم بها. وهذه الحقائق هي من أهم البواعث في الإنشغال العالمي الواسع بقضايا الإسلام والفكر الإسلامي والعالم الإسلامي. وأما في العالم العربي والإسلامي فكما هو واضح، فقد استحوذ الفكر الإسلامي على اهتمام واشتغال كل التيارات والاتجاهات الفكرية والسياسية. وهذا ما يكتشفه الراصد للاشتغالات الثقافية بسهولة. ولا نريد أن نتوسع في بواعث هذا الاشتغال وصوره واتجاهاته.

إن ما نريد دراسته هو تطورات الفكر الإسلامي المعاصر ومساراته الجديدة والمعاصرة.

١ـ الحركة الإسلامية ومعالم المنهج الحضاري، زكي الميلاد، بيروت: دار البيان العربي، ١٩٩١م، ص ٢٥.

وما نخلص إليه من هذا التمهيد إننا نرصد اشتغالاً عالمياً واسع النطاق حول الفكر الإسلامي، الذي يفوق من هذه الناحية، كما أوضحنا، المنظومات الثقافية العالمية الأخرى.

اشتغالات الفكر الإسلامي المعاصر

ما هي اشتغالات الفكر الإسلامي المعاصر في هذه المرحلة بخصوصياتها ومكوناتها، الذاتية والموضوعية، الإسلامية والعالمية، الراهنة والمستقبلية؟

خلال العقد الماضي (الثمانينات) وهذا العقد (التسعينات) وجد الفكر الإسلامي نفسه مدفوعاً بطاقة قوية لاشتغالات فكرية جديدة، فرضتها عليه متغيرات المرحلة التي اتصفت بكثافة حجمها وسرعة حركتها وخطورة نوعيتها، فما كان على الفكر الإسلامي إلا أن يتوجه بأنظاره إلى هذه المرحلة، ويتأمل في تحدياتها وإشكالياتها ومتطلباتها وتساؤلاتها، الاستجابات التي من غيرها لا تضمن لهذا الفكر حضوره ومعاصرته ومواكبته. خصوصاً وأن الأنظار كانت متوجهة إليه من كل الجهات، بعد أن سجل حضوراً واسعاً على مستوى المشروع الإسلامي الذي انتقل إلى إدارة الحكم والمجتمع والدولة لأول مرة في التاريخ الإسلامي الحديث منذ انطلاقة السيد «جمال الدين الأفغاني» [١٢٥٤ـ١٣١٥ هـ/ ١٨٣٨ـ١٨٩٧ م] في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي إلى النصف الثاني من هذا القرن. فكان موضع تساؤلات ومناظرات ومطارحات من كل الاتجاهات

والتيارات من داخل العالم العربي والإسلامي، ومن الغرب، ومن داخل الفكر الإسلامي نفسه، الذي أخذ ينظر إلى ذاته، ويراجع ما عنده من إجابات وتصورات وبدائل وبرامج، فاكتشف أنه أمام مرحلة دقيقة وحساسة لم يعد نفسه لها فكرياً ومعرفياً، وأنه بحاجة إلى أن يحرك طاقته الاجتهادية والتجديدية ليكون في مستوى المرحلة وتحدياتها وإحتياجاتها الفكرية، ويستجيب لمنطقة الفراغ التي كشفت عنها المستجدات المعاصرة. فكانت محاولات الاجتهاد والتجديد والنقد والمراجعة والتأصيل، بحثاً عن البدائل والتصورات الإسلامية في مختلف المجالات والميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية والتربوية. فالإسلاميون وصلوا إلى إدارة المجتمع والدولة في إيران من غير إعداد مسبق لتصور أولي لدستور إسلامي للبلاد. ووجدوا أنهم أمام مهام فكرية ضخمة جداً بحاجة إلى وقت غير قليل لملاحقتها، فأوضاع البلاد كانت تتطلب إصلاحات جذرية وشاملة، وما كان يحملونه معهم من أفكار ومفاهيم ليس فقط لم تكن كافية بل إن مشكلات الواقع كانت أكبر بكثير من تلك المفاهيم والأفكار التي كانت على مستوى العالم الإسلامى تميل إلى التجريد النظري أكثر من التطبيق العملي، ومن المثالية إلى الواقعية، ومن العمومية إلى الخصوصية، ومن الإجمال إلى التفصيل، ومن الثوابت إلى المتغيرات، ومن الكليات إلى الجزئيات، ومن الإطلاقات إلى النسبيات.

وهذه طبائع كل فكر ينصرف في اشتغالاته بعيداً عن ملاحقة الواقع في

مقام التطبيق. وهكذا هو الحال مع التجارب الإسلامية الأخرى التي وإن لم تصل إلى مرحلة إدارة المجتمع والدولة إلا أنها انتقلت من طور السرية إلى طور العلنية، ومن حاجات الفئة الخاصة إلى حاجات الأمّة العامة، ومن الكسب الذاتي المحدود إلى الكسب الاجتماعي الواسع، ومن التعاطي مع الواقع من وراء الحجاب إلى التعاطي معه فوق ما يحتمل، ومن حركة الذات إلى وجود الآخر المتعدد والمختلف، بين أن يكون هذا الاختلاف سياسياً أو منهجياً في إطار المرجعية الفكرية الواحدة، وبين أن يكون المختلف إيديولوجياً وفكرياً، وبالتالي عن نوعية هذه العلاقة وتعددها، بين خيار الانغلاق أو خيار الصدام، أو خيار التعايش، أو خيار التلاقي، على التفصيل. فكانت التقديرات أن هذه الحالات الإسلامية سوف تصطدم بالواقع في أول الأمر، نتيجة ما كان يمر به الواقع من متغيرات، لا توازيها تجديدات في منظومة الأفكار عند الجماعات الإسلامية.

ومن داخل هذه الجماعات تطرق لهذه القضية الأستاذ «راشد الغنوشي» في عام ١٩٨٢ م في مقالة نشرها تحت عنوان «الفكر الإسلامي بين المثالية والواقعية» حيث يعتقد أن العقلية المثالية التي ينظر الإسلاميون من خلالها إلى واقعهم هي أحد الأسباب الرئيسية المسؤولة عن عجزهم في استيعاب ذلك الواقع وطاقاته المتحركة وتوليد فكر إسلامي يقدم للمسلم وعياً صحيحاً بذلك الواقع، وقدرة على تسخير طاقاته لصالح مشروعه الإسلامي الحضاري[1].

١ـ محاور إسلامية، راشد الغنوشي، الخرطوم: بيت المعرفة، ١٩٨٩، ص ٢٧.

هذا عن المتغيرات الذاتية في المشروع الإسلامي المعاصر التي انعكست على حركية الفكر الإسلامي، أما عن المتغيرات الموضوعية فابرزها أن العالم الإسلامي الذي كان يلفه النسيان والغائب والمغيب عن الساحة العالمية، ويعيش في داخله حالات من الركود والجمود طوال عقود من الزمن تعود لمرحلة ما بعد الاستقلال والسيادة الوطنية، إذا به مع أواخر عقد السبعينات ينتقل إلى وضع آخر مختلف حيث الانبعاث والنهوض حتى بات يتصدر واجهة الاهتمامات العالمية، ويستقطب الاهتمام بصورة غير مسبوقة. فالأوضاع انتقلت من الركود إلى حركة لاتهدأ، والأحداث تلاحقت بسرعة، والجميع كان يتابع بحذر شديد.

هذه الأوضاع التي لا نريد أن نفصل الحديث حولها، بعثت على تأملات وقراءات جديدة للواقع الإسلامي، لتشخيصه وتفويمه، وتحديد أولوياته واحتياجاته، التي أكدت على ضرورة تحريك الفكر الإسلامي نحو الاشتغال بالمتطلبات والحاجات الجديدة، فكانت تدفع نحو مسارات جديدة في حركية الفكر الإسلامي المعاصر.

الغرب وإحياء الاستشراق من جديد

من خارج العالم الإسلامي، كان الغرب دوماً يثير الإشكاليات والمشكلات أمام الفكر الإسلامي. وفي هذه المرة، وجدنا أن القضية أكبر من ذلك. فالغرب أخذ يستعيد نشاطه الفكري والبحثي من جديد حول العالم

الإسلامي والفكر الإسلامي بصورة تلفت النظر وتثير الانتباه، تبعث على البحث في دوافع وخلفيات هذه الظاهرة، التي لا نبالغ إذا وصفناها بأنها تدل على إحياء جديد للاستشراق الذي أعلن عن موته المستشرق الفرنسي «جاك بيرك» في عام ١٩٧٥م حين أعلن أن زمن الاستشراق قد انتهى، وإن ما يعقده المستشرقون من مؤتمرات إنما هي مؤتمرات للعلوم الإنسانية.

ومن المعروف أن الاستشراق قد أنجز أضخم واوسع الدراسات التفصيلية والشاملة حول العالم الإسلامي والفكر الإسلامي في جوانب اللغات والفنون والتراث والتاريخ والدين والمجتمع والدولة والعلوم والتيارات والمذاهب ... الخ خلال عدة قرون من السنين. فالكراسي الأولى لتدريس اللغات الشرقية في الجامعة الفرنسية ترجع إلى عام ١٢٤٥م، لكن هذا التوسع الكبير قد بدأ منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، فكلمة مستشرق ظهرت لأول مرة بالإنجليزية في ١٧٧٩م، ثم بالفرنسية في ١٧٩٩م، واعتمدتها الأكاديمية الفرنسية في ١٨٣٨م[1].

كان من المفترض أن يكون الاستشراق قد أوصل الغرب إلى ما يشبه الاكتفاء، إذا لم يكن أكثر من ذلك، بحاجاته الفكرية والمعرفية عما يريد أن يعرفه عن العالم الإسلامي والفكر الإسلامي. وقد حصل تنافس بين المستشرقين، ومؤسسات وحركات الاستشراق في الدول الأوروبية على اكتشاف المعارف والتنقيب عنها في بلاد الشرق.

١ـ الاستشراق في أفق انسداده. د. سالم حميش، الرباط: منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، ١٩٩١م، ص ٧.

وما نراه من الغرب اليوم في اهتمامه بالظاهرة الإسلامية مع لحاظ حجم ومساحة ونوعية هذا الاهتمام، فإنه يذكرنا بحركة الاستشراق، بل هو إحياء جديد للاستشراق بدوافع ومنطلقات جديدة.

من جهة أخرى أن المشتغلين بعلوم الاستشراق وجدوا فرصتهم في إقناع الآخرين في الغرب بما يمكن أن يقدموه من أبحاث وتحاليل وقراءات حول قضايا العالم الإسلامي والفكر الإسلامي. بعد أن فقد هذا الحقل أهميته بمرور الوقت حتى كاد يصل إلى درجة الإعلان عن نهايته. فجاءت هذه الأوضاع لتعيد له الاعتبار وتبعث له الحياة من جديد.

وما نسميه أو نشبهه بالاستشراق هو هذه المرة أكثر تركيزاً وتخصصاً من الاستشراق القديم، حيث يعطي أولويته لدراسة مكونات قدرة الانبعاث والنهوض في الإسلام، ومستقبلياته في العالم المعاصر، وعن ظاهرة الحركات الإسلامية وتناميها واتساعها وديناميتها، ونظرة الإسلام إلى المرأة والغرب والدولة والاقتصاد ... الخ

الحقائق كثيرة التي تكشف لنا عن اشتغالات الغرب الواسعة بالظاهرة الإسلامية بحيث لا نستطيع أن نستوعب مساحتها. ونكتفي ببعض منها بما يؤكد صحة ما نقوله.

ومن هذه الحقائق ما كشف عنها الكاتب الصحفي «محمد حسنين هيكل» في محاضرة القاها في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، يوم ٩ ديسمبر ١٩٨٧م حيث قال: في وثيقة من وثائق لجنة الكونغرس المكلفة

بتحقيق وقائع فضيحة إيران/ كونترا، أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية قامت سنة ١٩٨٣م بالتمويل الكامل أو الجزئي، الظاهر أو الخفي، لأكثر من مائة وعشرين مؤتمراً وندوة في موضوع واحد هو الصحوة الإسلامية[١].

وأصبح من المعروف أن أكثر المواضيع تطرقاً ودراسة في الندوات والمؤتمرات التي تنظمها معاهد ومراكز دراسات الشرق الأوسط في أمريكا هو موضوع الإسلام والظاهرة الإسلامية. وإذا أخذنا نموذجاً على ذلك المؤتمر المعروف باسم «ميسا» وهو أحد أهم وأبرز المؤتمرات السنوية في أمريكا حول الشرق الأوسط. فمؤتمر ١٩٩٢م الذي عقد في مدينة «بورتلاند» بولاية «أورجن» وهو المؤتمر الذي يحمل رقم ٢٦، بلغت عدد المحاضرات والندوات التي ألقيت حوالي ٩٠ محاضرة وندوة، خلال أربعة أيام كان معظمها يدور حول الإسلام ونموه في الشرق الأوسط وعلاقته بالغرب[٢].

هذا ناهيك عن الدوريات والإصدارات التي تزايدت بمعدلات كبيرة فوق العادة حول هذا الموضوع. ففي فرنسا فإن من المستجدات التي قفزت إلى المشهد الثقافي/ السياسي، والتي أوجبت على الباحثين والصحافيين والمفكرين والناشرين التعامل معها والانكباب عليها هو الظاهرة الإسلامية.

١ـ المستقبل العربي. (لبنان) العدد ١٠٨، ١٩٨٨/٢م.

٢ـ ورقة «مراكز دراسات الشرق الأوسط في الغرب واهتمامها بالمسلمين» أعدها: د. صالح بن حمد الصقري، مقدمة لمؤتمر «المسلمون في الغرب» عقد في لندن عام ١٩٩٣م. راجع جريدة الشرق الأوسط (لندن) العدد ٥٤٤٨، ١٩٩٣/١٠/٢٨م.

الأمر الذي حدا بعدة دور نشر إلى إصدار سلاسل عن الإسلام والحركات الإسلامية، أو إلى تعزيز سلاسل قديمة مع إعادة طبع كتب قديمة عن الإسلام والعالم العربي وذلك لتلبية طلبات المتغيرات[1].

وفي ألمانيا حازت المستشرقة في الدراسات الإسلامية «آنا ماريا شيميل» على جائزة دور النشر الألمانية لعام ١٩٩٥م. وجاء في حيثيات قرار منح دور النشر هذه الجائزة لأعمالها القيمة التي قدمت المعارف حول الديانة الإسلامية وساهمت في التقارب الحضاري.

وفي اعتقاد البعض في ألمانيا أن تكريم إحدى المستشرقات وفي هذه الفترة بالذات يأتي كرد اعتبار لعلم ظل مهملاً لزمن طويل، وخلق شعوراً بالغبطة في اوساط المستشرقين وطلاب الدراسات الشرقية، لأنهم شعروا لأول مرة بتكريم مجال علمي ظل لفترة طويلة لايجد صداه خارج جدران الجامعة[2]. وذات الاهتمام والاشتغال نلاحظه في بريطانية وروسيا وهولندا وإسبانيا وإيطاليا والسويد ودول أوروبية أخرى. ومصادر الاشتغال عديدة منها الصحافة والاعلام والجامعات ومراكز الأبحاث وغيرها. من هذه الحقائق على قلتها بالقياس لحجم واقعها، فإنها تؤكد لنا صحه ما وصفناه بإحياء الاستشراق بلون جديد، ودوافع جديدة، ومناهج جديدة.

١ـ جريدة الحياة (لندن) العدد ١١٧٩٠٣، ٢٤ سبتمبر ١٩٩٥م.
٢ـ جريدة الحياة (لندن) العدد ١١٧٩٠، ٣ يونيو ١٩٩٥م.

ومن ملامحه الأساسية:

أولاً: دراسة الإسلام والفكر الإسلامي ليس في بلاد الشرق فقط كما هو التقليد. والجديد في المنهج وباهتمام خاص هو دراسة الإسلام في بلاد الغرب.

ثانياً: دراسة الإسلام والفكر الإسلامي ليس في الماضي، والماضي السحيق كما هو العرف الذي كان سائداً في حقل الاستشراق بل التركيز على دراسة الإسلام في مستقبلياته وديناميةتطوره وتقدمه.

ثالثاً: التركيز على جوانب معينة وهي مورد الحاجة والملحة والأساسية. وعلى حد تعبير الفقهاء مورد الابتلاء ومحل النزاع. وليس بصورة موسعة وتفصيلية كالذي عهدناه في الاستشراق القديم.

رابعاً: توظيف العلوم الإنسانية والاجتماعية في أرقى مستوياتها النقدية والتحليلية والمنهجية التي وصلت إليها في دراسة الفكر الإسلامي والظاهرة الإسلامية.

خامساً: الاعتماد على أبناء الشرق وبالذات من العالم العربي الذين يدرسون ويعملون في الغرب في المؤسسات والجامعات الأكاديمية والبحثية بتقديم الدراسات والأبحاث حول دولهم وحول الإسلام والعالم الإسلامي. وفي الجامعات الأمريكية والأوروبية هناك تأكيد على الذين يحضّرون الرسائل الجامعية من دول العالم العربي والإسلامي على تخصيص موضوعات هذه الرسائل عن مناطقهم وعن الإسلام والظاهرة

الإسلامية. بعكس الاستشراق الكلاسيكي الذي كان يعتمد على التواجد في بلاد الشرق.

والغرب بإمكانه إذا انشغل بأمر أن يشغل العالم معه في هذا الأمر، وهذه طبيعة كل من يتفوق حضارياً، يساعده على ذلك هيمنته على وسائل الاعلام العالمية، ونفوذه الواسع في العالم. وحينما انشغل هذه المرة بالإسلام فإنه أشغل معه العالم برمته، إذ كان يريد أن يخلق أجواء الخوف من الإسلام على نطاق عالمي واسع، وأن يكرر تجربته مع الشيوعية حين عمل جاهداً على إخافة العالم منها، وتصويرها العدو الأول للغرب.

ومن طبيعة انشغالات الغرب بالإسلام والفكر الإسلامي أن تفرز إشكاليات وتحديات فكرية ومعرفية، نتيجة لطريقة تعامل الغرب في هذا الحقل بالذات من الدراسات، الذي تتعدد طرائقه بين أن يكون متسائلاً أو مشككاً أو منتقداً، أو رافضاً لآراء ومواقف الفكر الإسلامي خصوصاً في القضايا التي تشغل اهتمام العالم كقضايا المرأة والديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات والحداثة والدولة وغيرها.

هذه الإشكاليات والتحديات الفكرية والمعرفية التي أفرزها التحدي الغربي دفعت بالفكر الإسلامي المعاصر نحو الاهتمام بتلك القضايا التي تشغل اهتمام العالم. والذي عرضنا له يشكل أهم البواعث الذاتية والموضوعية، الإسلامية والعالمية، الراهنة والمستقبلية التي تحفز الفكر الإسلامي المعاصر نحو مشاغل فكرية معاصرة، والبحث عن مسارات جديدة.

-٢-

تطورات الفكر الإسلامي المعاصر: المناهج والنظم

التطورات السياسية لاتحتاج في العادة إلى بحث وتدقيق، لشدة وضوحها، وكثرة الاشتغال بها، ولأنها من طبيعتها أن تفرض الاهتمام والمتابعة. أما التطورات الفكرية فهي في العادة بحاجة إلى تأمل ونظر، ولايتوقف عندها إلا من تربطه بالفكر والثقافة صلة، كسباً وإنتاجاً وتفكراً ونقداً.

وبشكل عام فإن التطورات الفكرية في العالم الإسلامي على قلتها إلا أن حركتها بطيئة، وقد لاتظهر للعيان ولا تأخذ قسطها من الاهتمام والاشتغال بوسائط النقد والحوار والنشر. إلا تلك الأفكار التي تخرج عن المشهور، وتصطدم بالأعراف أو المقدسات. وهذا مما يكشف عن أزمة النقد والحوار في فكر المسلمين. ومن هذه الحالات وقبل سبعة عقود كان كتاب «الإسلام وأصول الحكم» للشيخ «علي عبد الرازق» [١٣٠٥-١٣٨٦هـ/ ١٨٨٧-١٩٦٦م] الذي اصطدم بالمقدسات، فأثار في وقته ضجة كبيرة. ومن الحالات المعاصرة كتاب «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث» للشيخ «محمد الغزالي» الذي وصفه البعض بأنه رد الاعتبار للعقل المسلم، واعتبره بعض آخر بأنه خروج على المشهور، وبين من قال عنه إنه بمثابة حجر في مياه راكدة، ومن قال عنه بأنه دعوة إلى بيريسترويكا اسلامية،

وبين من قال عنه بأنه محاولة لبلورة منهج جديد لنظر الإسلاميين إلى قضاياهم الفقهية، ومشكلاتهم الدينية على ضوء الواقع الحضاري الجديد. إلى جانب هذه الآراء هناك من انتقده ورفضه وأعاب عليه بطريقة حادة وجارحة[1].

بينما الأفكار التي تقدم نفسها بهدوء وإيجابية وتدعو إلى البناء الحضاري وإيقاظ الفاعلية في العقل المسلم، فإن هذه الأفكار في العادة لا تكتسب حيوية كما ينبغي ولا تحرك ساكناً. وهذا من آفات الفكر عندنا في العالم الإسلامي.

والمتغير الذي نلمسه خلال العشر سنوات الماضية أن التطورات الفكرية بدأت تأخذ حركة ونمواً بالقياس عما كانت عليه سابقاً. وحتى هذا ما كان يحصل لولا ما تعرض له الواقع الإسلامي من هزات عنيفة حركت ما كان يلفه من جمود وسكون حتى على مستوى الأفكار والمفاهيم.

وهذا ما نريد التوقف عنده رصداً ووصفاً وتحليلاً. فالفكر الإسلامي المعاصر يمر بتطورات في المناهج والمفاهيم ويتطلع من هذه التطورات لأن يجدد نفسه نحو نهضة حضارية جديدة. ومن هذه التطورات التي نرصدها، والتي بحاجة إلى أن نؤرخ لها، ونحلل مكوناتها:

١ـ حول هذه الآراء والمناقشات انظر: «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، المنهج وأزمة النقد الإسلامي» زكي الميلاد، البصائر (لبنان) السنة الرابعة، العدد، ٨ صيف ١٩٩٢م.

اولاً: نهوض الفكر الإسلامي الشيعي

لقد أصاب فكر المسلمين الشيعة لسنين طويلة عوارض الجمود والانكفاء والعزلة، لأسباب وظروف ذاتية وموضوعية، أثرت بدرجات كبيرة على تأخر مستويات التطور العام في أوضاعهم الاجتماعية والثقافية، فكانت الفرص أمامهم ضيقة من جهة المشاركة في الوظائف العامة على مستوى المجتمع والدولة، صاحبتها مظاهر ضعف الإرادة والاندفاع الذاتي من قبلهم. وانصرف اشتغالهم العلمي والفكري على صعيد العلماء والفقهاء بصورة أساسية في ميادين الفقه والأصول واللغة، وهي العلوم التي تتأسس عليها نظم التعليم في الجامعات الشيعية، التي تعرف بالحوزات العلمية، والتي كان أكبر ضعف فيها إفتقادها إلى العلوم الاجتماعية والعلوم المعاصرة. ومن الثابت أن الفكر لا يتطور بمعزل عن الواقع، الواقع الحي المتحول الذي يفرز المنبهات للفكر ويوقظه على حاجات الأمّة ومتغيرات الحياة والزمن.

وليس أمامنا من الوسط الشيعي دراسات تحدثت بوضوح عن هذه الأوضاع الاجتماعية والثقافية، كالذي جاء في كتاب «الثقافة الرسالية» حيث يقول المؤلف: في كل مكان، من حدود الصين في ارض أفغانستان، حتى جنوب لبنان، ومن البصرة حتى سلطنة عمان على الخليج، ومروراً بكل أراضي إيران والعراق. رأيت واقعاً متخلفاً، شرس التخلف، عميق

التخلف، يسود أوضاع الشيعة. بالرغم من أن حوادث كثيرة عصفت بهم في طول الخمسين عاماً الأخيرة، والبعض منها كان كافياً لتحريك أضخم أمّة وبعثها تصارع الزمن. فهم لم يزالوا تلك الأمّة العاجزة، الفقيرة المفككة، المظلومة، المقهورة. علماً بأن شعوباً معاصرة مع الشيعة، ومتواجدة معهم، هم أكثر تقدماً في كل حقول الحياة[1].

هذا عن واقع الأمس أما عن واقع اليوم فهو أحسن حالاً بالقياس النسبي بعد التحول الإسلامي في إيران. الحدث الذي جعل من الفكر الإسلامي الشيعي في العالم الإسلامي ينتفض من ركام الجمود ورواسب الركود، وتدب فيه الحركة والحيوية والفاعلية. فيخرج من العزلة إلى الحضور، ومن الجمود إلى الحركة، ومن التراث إلى المعاصرة. وإذا به يكتشف خطورة منطقة الفراغ في هذا الفكر، ومضاعفات العزلة عن الواقع وعن الآخر الإسلامي، والاكتفاء ببعض العلوم على حساب علوم العصر. فما كان عليه إلا أن ينهض بنفسه ليواجه ضخامة المهام الفكرية التي تنتظره وتحيط به من كل جانب وفي كل اتجاه.

وفي دولة مثل إيران وجد الفكر الإسلامي الشيعي نفسه أمام مجتمع ومؤسسات ودولة تتصف بمساحتها الشاسعة، وعدد سكانها الضخم، وموقعها الحساس، وقومياتها المتعددة. والفساد الذي استشرى فيها لزمن طويل في مختلف مرافق الحياة والدولة. فأي ضخامة فكرية يحتاجها هذا

١ـ الثقافة الرسالية. أحمد ناصر، بيروت: دار التوجيه الإسلامي، بدون تاريخ، ص ٣.

الواقع بالانتقال به نحو الصياغة الإسلامية، وأسلمة الحياة والدولة والمجتمع؟ فما كان هناك خيار أمام الفكر الإسلامي الشيعي إلا ان ينهض من داخله ويواجه ما ينتظره من ثقل المسؤوليات الفكرية والثقافية والقانونية.

وعن هذا النهوض في الفكر الإسلامي الشيعي وامتداده في العالم الإسلامي يقول الأستاذ «راشد الغنوشي»: كان لانتصار الثورة الإسلامية في إيران أن أطلق موجة عاتية من الفكر الشيعي اجتاحت عدداً كبيراً من مثقفي العالم ومثقفي السنّة. وفي غمرة الحماس لانتصارات الثورة كانت تجد أفكار هؤلاء الرواد ـ كتابات الصدر ومطهري وشريعتي ـ بل حتى التراث الشيعي صدى متعاظماً، وكانت انتصارات الثورة تقوم مقام كاسحات الثلوج أمام الفكر الشيعي تفتح في وجهه الطريق فيتقدم دون مقاومة تذكر[1]. ولاشك أن نهوض الفكر الإسلامي الشيعي هو لصالح الفكر الإسلامي العام وضرورة له. لأن هذا النهوض سوف يستفيد منه كل العالم الإسلامي. ولازالت تنتظر الفكر الإسلامي الشيعي مهام فكرية كثيرة بحاجة إلى اجتهاد وتجديد ومراجعة وتأصيل.

ثانياً: تجديد الفكر الإسلامي والانتقال به نحو مرحلة جديدة

الذين يؤرخون لتطورات الفكر الإسلامي في تاريخ العالم الإسلامي الثقافي الحديث والمعاصر، يصنفون مرحلة جديدة يصطلح عليها البعض

١ـ الحريات العامة في الدولة الإسلامية. راشد الغنوشي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٣م، ص ١٤٢.

بالفكر الإسلامي الجديد[1]. ويصنف لهذه المرحلة الدكتور «طه جابر العلواني» التي يؤرخ لها بالمرحلة الرابعة من مراحل تطور فكر المسلمين. فالمرحلة الأولى عنده يصطلح عليها بمرحلة الصدمة الأولى والانبهار المباشر، حيث زلزل فيها المسلمون زلزالاً شديداً عن مواقعهم الفكرية والثقافية، وفقدوا ثقتهم بفكرهم الإسلامي. والمرحلة الثانية: التي بدأت فيها النفوس تستقر إلى حد ما وتجتاز فترة الانبهار. والمرحلة الثالثة وهي التي نعيشها أو نعيش جزءاً منها، وهي التي سميت بمرحلة الصحوة الإسلامية، اي مرحلة الوعي بالذات أو اكتشاف الذات. أما المرحلة الرابعة وهي التي نقصدها، فهي مرحلة تقديم البديل الإسلامي الحضاري لكل ما قدمه الغرب[2].

ويصنف لهذه المرحلة الأستاذ «منير شفيق» بالمرحلة الخامسة أو ما بعدها. فالمرحلة الأولى عنده وهي التي مثلها فكر «جمال الدين الأفغاني» وتتسم بمحاولة إصلاح الدولة العثمانية من داخلها. والثانية: وهي مرحلة تثبيت أقدام الاستعمار وتمتد مع نهاية الحرب العالمية الأولى. ومثلها فكر «محمد عبده» و «رشيد رضا» و «الكواكبي» و «أرسلان». والثالثة: وهي مرحلة الاستعمار المباشر. والرابعة مرحلة الدولة العربية المستقلة ما بعد الحرب العالمية الثانية. وأما المرحلة الخامسة فيمكن اعتبار نجاح الثورة

١ـ الفكر الإسلامي المعاصر نظرات في مساره وقضاياه. قيس خزعل العزاوي، بيروت: دار الرازي، ١٩٩٢م.

٢ـ الأزمة الفكرية المعاصرة تشخيص ومقترحات علاج. د. طه جابر العلواني، واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٣م.

الإسلامية في إيران وبداية القرن الخامس عشر للهجرة إيذاناً بالدخول إليها، وقد أخذت تتسم بمحاولة الفكر الإسلامي مراجعة تجربته السابقة، والانتقال إلى مواقع الهجوم والإيجابية في تغيير الواقع[١].

وفي داخل الخطاب الإسلامي المعاصر نلحظ دعوات لاتنقطع وبعناوين كثيرة تتلمس التعبير عن هذه المرحلة الجديدة التي يتطلع إليها الفكر الإسلامي. من هذه العناوين «تجديد الفكر الإسلامي»[٢]، «إصلاح الفكر الإسلامي»[٣]، «ضرورة تجديد الاجتهاد»[٤]، «إحياء الفكر الديني»[٥]، «التطوير في الثقافة والفقه»[٦]، «تجديد اصول الفقه الاسلامي»[٧].

والفكر الإسلامي مع هذه المرحلة يريد أن يخرج من مآزقه ومشاغله التقليدية إلى المشكلات الحضارية الكبرى في العالم الإسلامي، وأن يواكب القضايا العالمية المعاصرة، وأن ينهض بالحياة الإسلامية نحو آفاق التنمية الشاملة.

١ـ الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات. منير شفيق، بيروت: دار الناشر، ١٩٩١م. ص ٣٠.

٢ـ الفكر الإسلامي بين التأصيل والتجديد. زكي الميلاد، بيروت: دار الصفوة، ١٩٩٤م.

٣ـ إصلاح الفكر الإسلامي: ورقة عمل. د. طه جابر العلواني، واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩١م.

٤ـ مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية. د. يوسف القرضاوي، بيروت: /مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.

٥ـ إحياء الفكر الديني. الشيخ مرتضى مطهري، بيروت: دار التعارف، ١٩٨٩م.

٦ـ التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده. السيد محمد تقي المدرسي، طهران: انتشارات المدرسي، ج٢.

٧ـ تجديد أصول الفقه الإسلامي. د. حسن الترابي، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٠م.

ثالثاً: الارتقاء بالعمل الفكري الإسلامي

المراقب للساحة الثقافية الإسلامية خلال العقد الماضي وهذا العقد يلحظ تطوراً في العمل الفكري الإسلامي من جهة الكم والنوع. فمن جهة نلحظ تنامي الإدراك بأهمية العمل الفكري والإرتقاء به، بعد أن كان في حالة انحسار وتراجع خلال العقود الماضية مع ما أصاب فكر المسلمين من عوارض الجمود والعزلة.

وهذا الإدراك ما كان يحصل لولا التنبه لعمق المشكلات الفكرية التي نعيشها، والانصراف الذي حصل عن العمل الفكري إلا في بعض الأطر الفردية المحدودة، حيث بات هذا الحقل الحيوي مهملاً، وكأنه لم يكتشف أهميته وضرورته وآفاقه ومستقبلياته. ومع هذا الإدراك بأهمية العمل الفكري المركز والعميق تشكلت خلال هذه الفترة التي نؤرخ لها في تطورات الفكر الإسلامي المعاصر، العديد من مراكز الدراسات ومعاهد البحث، والمنتديات الثقافية، والمؤسسات والجامعات ذات الصفة الإسلامية، والتي تحمل تطلعات الارتقاء بالعمل الفكري والنهوض بالبحث العلمي الإسلامي، وتأهيل العالم والمفكر والمثقف الإسلامي، وإيجاد حلقة من التواصل العلمي بين مفكري وباحثي العالم العربي والإسلامي، وإعداد الدراسات والبحوث الإسلامية ذات المواصفات العلمية، بالإضافة إلى عقد الندوات والمؤتمرات العلمية الإسلامية. وقد أعطت هذه الجهود ثماراً قيّمة

ولازال أمامها الوقت في ان تقدم ما هو أرقى من ذلك.

من جهة أخرى بدأ يتكثف حضور الدوريات الفكرية والثقافية في الاطار الإسلامي وهي تحمل معها هموم النهوض بالعمل الفكري الإسلامي، وتطوير خطاب حضاري إسلامي معاصر، وممارسة النقد على الواقع الإسلامي مقدمة للنهوض به.

كما ظهرت لنا مجموعة من الأدبيات الفكرية الإسلامية المتميزة، الجديدة في موضوعاتها المتطورة في خطاباتها، العلمية في منهجياتها، الموضوعية في معالجاتها المتمسكة بأصالتها.

ودخلت على ساحة الفكر الإسلامي شريحة من الأكاديميين الإسلاميين وجيل جديد من المفكرين الإسلاميين الذين جمعوا بين الأصالة والانفتاح على علوم العصر وثقافاته فكانت لهم اسهامات علمية على درجة كبيرة من الأهمية على الصعيد الإسلامي.

رابعاً: نقد ومراجعات

ما كان من الممكن أن يحدث نهوضٌ في الفكر الإسلامي، وتجديد في مناهجه، وتطوير في حركته، من غير أن يترافق ذلك مع مراجعات ونقد في فكر المسلمين وخطاباتهم الثقافية لإزالة ما علق عليه من جمود ورواسب بالية، وعوائق منهجية، وسلبية وانغلاق. وبجرأة أكثر فقد دعا السيد «محمد حسين فضل الله» إلى أن نعيش حالة طوارئ لنتخلص من كل هذا

السكون والجمود الميت الذي يطبق على كثير من أمور الثقافة الإسلامية[1].

ومن كان يتردد عن ممارسة النقد فيما مضى، تحت عناوين الحرج أو الضرر، أو الاحتياط، أو سد الذريعة، أو غير ذلك، فهو اليوم يمارس النقد بعد أن ارتفعت تلك العناوين، وأصبح النقد ضرورة ملحة بعد ان برز بعض الظواهر التي لا يجب السكوت عنها، كالنزاع المسلح الذي حصل بين بعض الجماعات الإسلامية، وظواهر التكفير وإلغاء الآخر الإسلامي، وممارسة العنف في غير مكانه، وسيطرة التقاليد على حساب الدين وتعطيل العقل إلى غير ذلك.

وأغلب الخطابات الإسلامية المعاصرة مرت خلال هذه الفترة بمراجعات فكرية في تجديد وتطوير منظومات المفاهيم عندها. بما في ذلك الخطاب الإسلامي السلفي في أحد روافده الذي بدأ يقدم نفسه بالمظهر المستنير.

هذه المراجعات، هناك من يمارسها علناً وبوضوح، وهناك من يتكتم عليها، ومن العقل والحكمة أن تحصل هذه المراجعات بعد كل هذه التحولات والمتغيرات المتعاظمة التي حصلت في الواقع الإسلامي وفي النطاق العالمي.

وفي هذا الجانب يمكن أن نرصد مجموعة من الكتابات الإسلامية المعاصرة التي عبرت عن هذا التطور النقدي في الفكر الإسلامي، من هذه الكتابات: «مسائل حرجة في فقه المرأة»[2] للشيخ «محمد مهدي شمس

١ـ السفير (لبنان) السنة الثانية والعشرون، العدد ٧٢٢٤، الإثنين ٣٠ أكتوبر ١٩٩٥م.
٢ـ الكتاب من إصدار المؤسسة الدولية للدراسات، بيروت، ١٩٩٤م.

الدين»، «أزمة العقل المسلم»[1] للدكتور «عبد الحميد أبو سليمان»، «تراثنا الفكري بين ميزان العقل والشرع»[2] للشيخ «محمد الغزالي»، «الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم»[3] للشيخ «يوسف القرضاوي»، «في النقد الذاتي: ضرورة النقد الذاتي للحركة الإسلامية»[4] للدكتور «خالص جلبي»، «الحركة الإسلامية في ظل التحولات الدولية وأزمة الخليج»[5] إعداد «أحمد يوسف».

هذه عينة من كتابات جاءت في سياق نقد الواقع الإسلامي، ومراجعة بعض المفاهيم والقضايا الفكرية التي بحاجة إلى إعادة نظر وتجديد، وقد اكتسبت هذه الكتابات اهتماماً لجدية خطابها النقدي وتطلعاتها للتجديد والتطوير.

والساحة بحاجة إلى هذه النوعية من الكتابات الجادة والجريئة في نقد الواقع والأفكار التي تكبح نهوضنا وتقيد انطلاقتنا، وتعطل فاعلية عقولنا، وتدفعنا إلى السلبية والقشرية والانغلاق.

١ـ صدر الكتاب عن المعهد العالمي للفكرالإسلامي بواشنطن، ١٩٩٢م.
٢ـ صدر الكتاب عن دار الشروق بالقاهرة.
٣ـ صدر الكتاب عن مؤسسة الرسالة في بيروت، ١٩٩٣م.
٤ـ صدر الكتاب عن مؤسسة الرسالة في بيروت، ١٩٨٥م.
٥ـ الكتاب هو مجموع أعمال ندوة أشرف عليها المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع المؤسسة المتحدة للدرسات، عقدت بواشنطن في الفترة ما بين ١٩ ـ ٢١ يوليو ١٩٩١م. جمع أعمالها أحمد يوسف.

خامساً: البحث عن المعاصرة

المعاصرة كمنهجية معرفية لا يدركها ولايكتسبها من لا يعيش الواقع بتفاصيله وتطوراته، ويكون حاضراً بقدراته في التأثير عليه، بتعدد مصادر القدرة بين أن تكون ثقافية، أو سياسية أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو اعلامية ...

والمعاصرة تترك آثارها واضحة على بنية الأفكار وحركيتها ومنهجية تنزيلها على الواقع، وعلى أولويات وتراتب هذه الأفكار، فيما يجب أن يتقدم وفيما يجب أن يتأخر، فيما يجب ان يكون فورياً وفيما يجب أن يكون تدريجياً، فيما يجب أن تتوفر مقدماته وفيما لا يحتاج إلى أن تتوفر مقدماته، فيما يجب أن يكون معيناً وفيما يجب أن يكون مخيراً.

المعاصرة كمنهجية من الممكن أن نشخصها بالتعرف على منهجية القرآن الحكيم في علاقته بالواقع خلال فترة التنزيل، حيث نزل منجماً من بدء الدعوة الإسلامية إلى اكتمال التشريع خلال ثلاث وعشرين سنة هي زمن نبوة الرسول «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم . من آية «إقرأ» وهي أول ما نزل من القرآن إلى آية ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[1] وهي آخر ما نزل من القرآن على اختلاف في بعض الروايات.

١ـ سورة المائدة.

فالمنهجية التي اتبعها القرآن الحكيم في تنزيل آياته على الحوادث الواقعة، كشفت عن منهجية علمية محكمة في علاقة التشريع بالحوادث الواقعة. فكان القرآن يستجيب لتطور حاجات الدعوة الإسلامية والمجتمع الإسلامي في تبدل أوضاعه وتغير ظروفه، حتى تبلور ما عرف في علوم القرآن بعلم المكي والمدني، وخصائص كل خطاب وشروطه وحاجاته. ومن المعروف أن القرآن الكريم خلال زمن الدعوة لم يترك منطقة فراغ تشريعية إلا وسدها، ولا ابتلاء إلا ورفعه، ولا واقعة محيرة إلا وشخصها، ولاحاجة إلا واستجاب لها.

وما نراه اليوم أن الفكر الإسلامي أكثر معاصرة بالمقارنة عما كان عليه قبل عقدين من الزمن لأنه يجد نفسه اليوم أكثر قرباً من الواقع وأكثر معرفة بالزمان والمكان وشروطهما ومقتضياتهما.

وقد وجدنا أن المكان الذي يكون فيه الفكر الإسلامي أكثر قرباً من الواقع، يكون أكثر استيعاباً وتقدماً نحو المعاصرة. وهذا مانلمسه في ايران، فالفكر الاسلامي هناك ليس قريباً من الواقع فحسب بل هوالذي يوجه حركة الواقع لذلك فهو يتجه نحو المعاصرة بسرعة وفي مختلف المجالات الفكرية والقانونية والتشريعية، ففي مجال الاصول والتشريع طرح مفهوم الاجتهاد المتحرك مقابل الاجتهاد الجامد. وفي مجال الفقه طرح مفهوم الزمان والمكان في المباني الفقهية ، وهكذا في تفسير القرآن وحركة التجديد تتواصل هناك ومن المهم متابعتها.

وبصورة عامة فإن الفكر الإسلامي اليوم أكثر معاصرة من أي وقت مضى، والمعاصرة هي صيرورة لا تتوقف ولا تنقطع.

-٣-

تطورات الفكر الإسلامي: الأفكار والمفاهيم

تلك كانت التطورات العامة التي ترتبط بالبنية المعرفية للفكر الإسلامي ومنهجياته الكلية. أما التطورات التي ترتبط بحركة الافكار ونوعية الاشتغال الثقافي في الفكر الإسلامي على مستوى المفاهيم خلال الفترة التي نؤرخ لها، فهذا ما يحتاج أيضاً إلى دراسة وتأمل.

والمعيار الذي نقيس عليه تحديد نوعية هذه التطورات هو كثافة وسعة الاشتغال في الموضوع الواحد وبصورة مميزة وبمنهجية جادة، تأخذ بعين الاعتبار تحولات الواقع في عنصري الزمان والمكان، وتحولات الفكر في اتجاه التجديد والتطوير.

وهذه التطورات هي تخصيصات لتلك التطورات العامة، ومتغيرة في بعض مفرداتها، فما هو أولوي في هذا الظرف، قد يفقد أولويته في ظرف آخر، ويحل مكانه اهتمام جديد، وقد تحافظ بعض المفاهيم على حيويتها في أكثر من ظرف لنوعيتها وطبيعة علاقتها بالظرف ومتغيراته.

ومن هذه التطورات التي تشكل مسارات جديدة أو قديمة لكنها متطورة عن السابق في الفكر الإسلامي المعاصر:

اولاً: تجديد وتطوير الفكر الحركي

المشتغلون في حقل الحركة الإسلامية والمفكرون فيها يدركون في هذه الفترة أكثر من أي فترة مضت ضرورة تجديد الحركة الإسلامية والفكر الحركي الإسلامي بعد أن تغيرت الظروف وتطورت الأوضاع ومع ما مرت به الحركة الإسلامية من تحولات ذاتية كالتحول من السرية إلى العلنية ومن الفئوية إلى الجماهيرية، ومن الثقافي إلى السياسي، ومن التضييق إلى التوسع، ومن المعارضة السلبية إلى المعارضة الإيجابية في بعض الساحات، ومن الصدام إلى الحوار في ساحات أخرى. إلى غير ذلك من تحولات. يضاف إلى ذلك أن جيلاً جديداً من الكفاءات الشابة دخل على ساحة الحركة الإسلامية وأخذ يتصدى لفعاليات حيوية، كما أن جيلاً جديداً من الحركات الإسلامية ظهر إلى الوجود على خلفية تجاوز إشكاليات ومحن الحركات الإسلامية التقليدية أو القديمة.

والقناعات اليوم تتأكد من وقت لآخر بضرورة تجديد وتقويم الفكر الحركي الإسلامي، فهو في نظر الأستاذ «محمد فريد عبد الخالق» من الإخوان المسلمين في مصر سابقاً (إن محنة العمل الإسلامي في هذه الآونة بصفة خاصة، هي محنة فكر قبل أن تكون محنة سلوك حركة وابتلاء عملي)[1]،

١ـ ندوة: اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر، عقدت هذه الندوة في البحرين في الفترة ما بين ٢٢ ـ ١٩٨٥/٢/٢٥م، صدر الكتاب عن مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٧م، ص ٤٤٩.

وفي نظر الأستاذ «جاسم مهلهل الياسين» من الحركة الدستورية في الكويت، (ان من الأزمات التي تعترض الحركات الإسلامية، أزمة الفكر الحركي حيث أصابها شيء من الجمود والتوقف، وأصبح فكرها غير قادر على إخراجها من أزمتها)[1].

ويصف هذه الأزمة الأستاذ «موسى أبو مرزوق» من حركة حماس الفلسطينية، بفكر المحنة حيث يذهب إلى أن الفكر الإسلامي الحركي في الستينات وأوائل السبعينات، قد اتسم بردة فعل أججتها سنوات المحنة والابتلاء فنضج فكر «محنوي» لازلنا نعاني منه حتى الآن. لذلك فإن الكثير من معالجات المفكرين وأطروحاتهم الحالية تتجه صوب ذلك الفكر محاولة تغييره أو الدفع في اتجاه تجاوزه، وتبني منطلقات حركية جديدة[2].

ومن الذين نهضوا لتجديد الحركة الإسلامية ونظّروا لهذا المسار الدكتور «حسن الترابي» والأستاذ «راشد الغنوشي» وقد صدر لهما كتاب مشترك حمل عنوان «الحركة الإسلامية والتحديث»[3] ويراد من التحديث هنا بلورة فكر حركي جديد يتجاوز فكر الإخوان المسلمين في مرحلتي «حسن البنّا» [١٣٢٧ـ١٣٧٠ هـ/ ١٩٠٣ـ١٩٤٩م] و «سيد قطب» [١٣٢٤ـ١٣٨٦ هـ/ ١٩٢٣ـ١٩٦٦ م] وهو الفكر الذي هيمن على الحركات الإسلامية في المشرق

١ـ الفكر الحركي الإسلامي وسبل تجديده، أبحاث وتعقيبات الندوة الثانية لمستجدات الفكرالإسلامي والمستقبل، الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، ١٩٩٣م، ص ٣١١.

٢ـ الحركة الإسلامية في ظل التحولات الدولية وأزمة الخليج. مصدر سابق، ص ٤١٢.

٣ـ صدر الكتاب في بيروت عن دار الجيل، ١٩٨٤م.

والمغـــرب لسنين طويلة. بالإضـــافـــة إلى فكر «أبو الأعلى المودودي» [١٣٢١ـ١٣٩٨هـ/ ١٩٠٣ـ١٩٧٩م].

ولهذه المهمة أيضاً جاء كتاب «الحركة الإسلامية هموم وقضايا» للسيد «محمد حسين فضل الله» فقد جاء في مقدمة الكتاب «أن هذه التأملات تصلح أن تكون عنصراً من عناصر الإثارة الفكرية التي تخطط للمنهج الفكري الذي يحاول إبداع نهج لحركة إسلامية جديدة»[1] وكذلك كتاب «الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية: أوراق في النقد الذاتي»[2] الذي تضمن أربع عشرة ورقة لمفكري وقيادات من داخل الصف الإسلامي. وهو من إعداد وتقديم الدكتور «عبد الله النفيسي».

وبتوسع أكثر جاءت ندوة «الفكر الحركي الإسلامي وسبل تجديده» التي عقدت بالكويت في إطار مشروع «مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل» في الفترة ما بين ٨ـ ١٠ فبراير ١٩٩٣م تحت إشراف الأمانة العامة للأوقاف. ومازال الفكر الحركي الإسلامي بحاجة إلى تجديدات وتطويرات سعياً نحو صياغة متقدمة لحركة إسلامية جديدة.

ثانياً: الحريات العامة وحقوق الإنسان

لقد جاء اشتغال الفكرالإسلامي بقضايا الحريات العامة وحقوق الإنسان، كقضايا فكرية، سياسية، قانونية، حديثاً ومتأخراً. يمكن أن

١ـ الحركة الإسلامية قضايا وهموم. السيد محمد حسين فضل الله، بيروت: دار الملاك، ١٩٩٠م. ص ٥.

٢ـ الكتاب من إصدار وإعداد وتقديم د. عبد الله النفيسي، الكويت، ١٩٨٩م.

يؤرخ لهذا الاشتغال كتطور فكري مع النصف الأول من عقد الثمانينات، وتزايد الاهتمام بصورة مميزة ومتصاعدة مع النصف الثاني من العقد نفسه. سواء على صعيد بعض الجوانب النظرية كالكتابة والنشر وعقد الندوات، أو على صعيد بعض الممارسات العملية من خلال تشكيل بعض الهيئات الحقوقية، أو من خلال الاقتراب والتداخل مع المنظمات الحقوقية في العالم.

وقبل هذه الفترة كانت هناك بعض الكتابات الإسلامية حول هذه القضايا لكنها محدودة جداً، لا تكاد تشكل نسبة معتبرة. وقد ظهرت هذه الكتابات في النصف الثاني من حقبة السبعينات ويكشف هذا التطور في الفكر الإسلامي المعاصر نحو الاهتمام بهذه القضايا، الأستاذ «حسنين توفيق إبراهيم» في دراسته التوصيفية «حقوق الإنسان في الكتب والرسائل الجامعية وبعض الدوريات العربية مع التركيز على مصر»[1] حيث يكشف أن هناك زيادة نسبية في عدد الكتب التي تعرض لحقوق الإنسان في الإسلام. وهذه الزيادة على مستوى الكتابات الإسلامية ومقارنة بكتابات التيارات الأخرى.

ولقد كانت أمام الفكر الإسلامي بواعث كثيرة نحو الاشتغال بقضايا الحريات العامة وحقوق الإنسان والاهتمام بهما واعطائهما أهمية مميزة بما

١ـ منبر الحوار (لبنان) السنة الثالثة، العدد ٩، ربيع ١٩٨٨م، حقوق الإنسان في الكتب والرسائل الجامعية وبعض الدوريات العربية: مع التركيز على مصر. حسنين توفيق إبراهيم، ص ٧٤.

يفوق قضايا أخرى عديدة.

وفي مقدمة هذه البواعث أن المشرع الإسلامي خلال السنوات الماضية كان الأكثر ابتلاء بهذه القضايا من غيره من الاتجاهات الأخرى.

بالإضافة إلى أن هذه القضايا أصبحت تشغل اهتمام العالم كله، وتفرض حضورها دوماً مع ما يحصل في العالم من انتهاكات لحقوق الإنسان وتضييق على الحريات العامة.

والندوات الإسلامية التي عقدت حول هذا الموضوع خلال هذه الفترة التي نؤرخ لها تتقدم على أي موضوع آخر مما يؤكد اهتمام الفكر الإسلامي بهذه القضية الحيوية والإنسانية والتي كانت بحاجة إلى هذا الاهتمام الواسع والمكثف.

ثالثاً: قضايا الحكم والدولة في الإسلام

لم تكن قضايا الحكم والدولة في الإسلام سابقاً تأخذ حيزاً مهماً في الاشتغال على مستوى الفكر الإسلامي إلا بنسب ثانوية، ولعلاقتها بموضوعات أخرى في أغلب الأحيان. والكتابات التي تناولت هذه الموضوعات في الفترة الماضية لاتكاد تشكل قيمة معرفية في مجموعها، مع أهميتها.

وهذا العزوف عن الاشتغال بهذه القضايا في أحد أسبابه الأساسية هو القطيعة التي حصلت بين العلماء والدولة، وما ترتب عليها من إخراج

موضوع الدولة من دائرة الأبحاث الفقهية والتشريعية والقانونية، واقتصرت دراستها في نطاق وعنوان الدولة الظالمة أو الجائرة وباهتمام قليل جداً. ولأن الدول الموجودة في الديار الإسلامية لا يصدق عليها عنوان الدولة الإسلامية ولا حتى هي توصف نفسها بهذا العنوان، مما يعني غياب عنوان الدولة الاسلامية.

هذه الأسباب وغيرها كانت وراء عزوف الكثير عن الاشتغال بقضايا الدولة في الإسلام، حيث لا موضوع لها مع افتقادها ولا ابتلاء فيها.

وحينما أصبحت هذه القضايا مورد ابتلاء حقيقي مع انبثاق دول إسلامية، وتنامي الدعوة المطالبة بالدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية، تبلورت دواعي حقيقية وبواعث عملية نحو الاشتغال بموضوعات الحكم والدولة والسلطة في الإسلام وظهرت كتابات كثيرة حولها كشفت لنا عن تطورهم في الفكر الإسلامي المعاصر.

ولاشك أنه لتطور كبير أن تنبثق في هذا العصر دول تتبنى الحل الإسلامي، ضخامة هذا التطور خلقت منه هزات شديدة في الفكر الإسلامي والفقه الإسلامي وبالذات على الصعيد الشيعي الذي شهد تطورات أساسية من أبرزها:

ألف: من الآراء التي كانت مطروحة قديماً في الفكر الشيعي والفقه الشيعي الرأي الذي لا يعطي شرعية لقيام دولة إسلامية في عصر غيبة الإمام المهدي عليه السلام والذي هو الموكل بالقيام بهذه الدولة حسب هذا الرأي.

وليست هناك شرعية عندئذ لدولة إسلامية، ولا يجوز الدعوة إليها في غيبته. الأمر الذي يعتبره هؤلاء حسب فهمهم نوعاً من المنازعة والتهكم في حق الإمام الغائب. هذه الآراء التي تميل إلى السلبية والإحباط تراجعت وبلا عودة.

باء: تبلور نظرية ولاية الفقيه وهي من أهم نظريات الفكر السياسي الإسلامي الشيعي المطروحة اليوم. حيث يتسع الاشتغال بها بصورة كبيرة ومميزة في الدراسات الفقهية والأبحاث السياسية.

بعد أن كانت هذه النظرية ولزمن طويل لاتجد من يشتغل بها ويدعو إليها. فحينما طرح هذه النظرية الإمام الخميني في وقت مبكر في الدروس الفقهية بالنجف الأشرف والتي جمعت فيما بعد في كتاب «الحكومة الإسلامية» ودافع عنها بحماس كبير، لم تقابل هذه النظرية آنذاك باهتمام كبير بعكس ما هي عليه اليوم. وقد فتحت هذه النظرية آفاقاً واسعة في علاقة الفقهاء والعلماء بالحكم والدولة وهذا ما كان غائباً لزمن طويل ولازالت تحوم حول هذه النظرية سجالات فقهية ودستورية وسياسية ...

جيم: موضوعات الدولة التي كانت تبحث في الدراسات الفقهية الشيعية فيما مضى كانت دائماً تدور تحت عناوين الدولة الجائرة والدولة الظالمة، والأحكام الشرعية كانت تتحدد وفق هذين العنوانين لغياب الدولة الإسلامية، العنوان الذي يسلب من الدول القائمة في العالم العربي والإسلامي والتي هي لا تدعي لنفسها هذا العنوان، ولضعف الاعتقاد في

الأوساط الإسلامية بقيام دولة إسلامية. ومع قيام دولة إسلامية فقد ترتب على ذلك تنقيح أحكام فقهية كثيرة كانت مجمدة ومعطلة وفتحت معها أبحاثا فقهية وأصولية وحقوقية جديدة.

ومن التطورات الهامة في هذا الجانب دعوة بعض الجماعات الإسلامية إلى الدولة الإسلامية من خلال نظم الديمقراطية وصندوق الاقتراع، والاهتمام بإعداد برامج سياسية عند هذه الجماعات، وبلورة مشاريع للدستور الإسلامي، والاتجاه نحو المشاركة السياسية مع الأنظمة الموجودة إلى غير ذلك، فالاشتغال يتسع بقضايا الحكم والدولة والسلطة في الإسلام[1].

رابعاً: إسلامية المعرفة

حينما اقترب بعض المثقفين الإسلاميين الأكاديميين من العلوم الاجتماعية والإنسانية الذي كان حقلاً عند البعض في دراساتهم وتخصصاتهم العلمية اكتشفوا أهمية هذه العلوم في تطوير المجتمع وإنمائه وتجديده والتقدم به، كما اكتشفوا ما هو أخطر من ذلك وهو غربة الفكر الإسلامي عن هذه العلوم التي تهيمن عليها الثقافات الأوروبية، وتقدمها على أنها علوم إنسانية عالمية. وإن الغرب بهيمنته على هذه العلوم الحيوية

١ـ مصادر الدراسة عن الدولة والسياسة في الإسلام، عبد الجبار الرفاعي، طهران: منظمة الاعلام الإسلامي، ١٩٨٦م.

يقوم بأخطر أدواره الثقافية بعد أن أصبحت هذه العلوم مناهج في التعليم العالي والتخصص الأكاديمي. فوجد هؤلاء أن من الضروري اقتحام هذا الحقل بالتمكن أولاً من هذه العلوم واستيعابها، ومحاولة اكتشاف ما عندنا من تراث إسلامي على علاقة مباشرة بهذه العلوم. وإبراز المعارف الإسلامية من المصادر الإسلامية القرآن والسنة في موضوعات هذه العلوم.

وكان من المهم هذا الالتفات الذي تطور فيما بعد إلى جهد معرفي على درجة كبيرة من الأهمية، خصوصاً الجهد الذي نهض به «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» في واشنطن. حيث جعل من إسلامية المعرفة وإصلاح مناهج الفكر الإسلامي قضيته المعرفية الكبرى التي ترتكز حولها أنشطة المعهد من خلال منهجية علمية إسلامية.

وفي اعتقادي أن من أهم أولويات الاجتهاد والتجديد في نظام المعرفة الإسلامية، والمنهجية العلمية الإسلامية التجديد في مجالات العلوم الإنسانية. العلوم التي لانجد لها تأسيساً إسلامياً أصيلاً ومعاصراً، عميقاً وعلمياً، في المنهجية العلمية الإسلامية، المنهجية التي لا تتكامل إلا بتأصيل هذه العلوم واستيعابها ومن غير هذا التأصيل فالضعف يظهر واضحاً في نظام المعرفة الإسلامية على مستوى النظرية والتطبيق.

من جهة أخرى لقد تأخرنا كثيراً في انجاز هذا العمل، وظهرت مضاعفات هذا التأخير في التجارب التي كان فيها تنزيل القوانين والقيم على الواقع العملي. في حين أن الثقافة الإسلامية هي ثقافة العلوم

الاجتماعية والإنسانية لأن فلسفتها هو الإنسان والمجتمع والحضارة. مع ذلك فإن أعمق نقص في الثقافة عن الإسلاميين هو النقص الواضح في العلوم الاجتماعية الذي سبب إرباكاً وخللاً في النظام المنهجي والبنية المعرفية الإسلامية[1].

مع ذلك (فإن الحديث عن اسلامية المعرفة لا يزال يقابل باستنكار، فلا يكاد الإنسان يطرحه في محاضرة أو مقالة إلا ارتفعت عشرات الأصوات تعترض، ما للمعرفة والإسلامية؟ فإن المعرفة واحدة مهما كان مصدرها، وهي ملك للبشرية جميعاً بمختلف مللها ونحلها، أتريدون أن تحشروا الإسلام في كل شيء؟ والعلوم لاتخرج في حقيقتها عن جهود إنسانية تجريبية، وخبرات أفراد ومجتمعات في جوانب الحياة المختلفة تقوم على مناهج علمية محددة ثابتة لا يؤثر فيها دين العالم ولامذهبه فلماذا يزج الإسلام في هذا؟ وهو دين مجرد يحدد علاقة الفرد بربه، ويزكي سلوك الإنسان أما المعرفة فهي موروث إنساني مشترك يحمل صفة العالمية والتطور. وقد تكون الإشكالية التي حالت دون إدراك المطلوب لحقيقة المشروع فيما نعتقد كامنة في العجز عن التفريق بين العلم ومنطلقاته وهدفه وحكمته وقيمه التي أورثها الاستلاب الثقافي[2].

كما أن هذا الاستنكار لا يفرق بين العلم والثقافة، بين ما هو حيادي

١ـ الفكر الإسلامي بين التأصيل والتجديد، مصدر سابق، ص ٣٦٩.
٢ـ إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات. مصدر سابق، ص ١٢.

تجريدي جازم، وما هو متحيز سلوكي متطور. وهي الفروقات التي بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية.

وهذا المسار في الفكر الإسلامي المعاصر أخذ اهتمامات متعددة بين من ركز على إسلامية الأدب، أو إسلامية الاقتصاد، أو إسلامية علم النفس، وعلم الاجتماع. وهكذا في العلوم الإنسانية والاجتماعية الآخرى.

ولاداعي لما يطرحه البعض من حساسية تجاه هذا الربط بين الإسلامية وهذه العلوم إذا التزمت هذه الدراسات بالضوابط العلمية والإحكام المنهجي. والدراسات التي بحثت في هذا الحقل على قلتها إلا أنها سدت فراغاً مهماً في منظومة الأفكار الإسلامية.

خامساً: المشروع الحضاري

من المفاهيم التي أخذت حضوراً واسعاً في الخطابات الإسلامية المعاصرة مفهوم «المشروع الحضاري» الذي يعبر عنه البعض كتطلع، والبعض الآخر كتحدي، وهناك من يدعو للحوار حوله، لبلورته وتحديد مفهوميته ومكوناته المعرفية.

وسبق وأن بحثت في دراسة سابقة تاريخ تطور الأفكار في العالم الإسلامي، فوجدت أن في فترات تاريخية متعاقبة هناك ما يشبه السيادة لبعض الأفكار الكبرى التي كانت على ارتباط وثيق بطبيعة كل مرحلة ونوعية المتغيرات فيها واتجاهات التأثير عليها. فمع حركة السيد «جمال

الدين الأفغاني» في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي برز مفهوم «الجامعة الإسلامية» رداً لما كان يتعرض إليه العالم الإسلامي من تمزق وتفرقة وتجزئة. ومع النصف الأول من القرن العشرين برز مفهوم «شمولية الإسلام» التي عبرت عنه باهتمام كبير أدبيات الإسلاميين المصريين، وذلك رداً على انهيار الخلافة العثمانية في عام ١٩٢٤م، وعلى ما كان يطرح من فصل الدين عن السياسة والمجتمع والدولة. وفي النصف الثاني من القرن العشرين برز مفهوم «الحل الإسلامي» الذي طرح بعد هزيمة حزيران يونيو ١٩٦٧م، رداً على تراجع الإيديولوجيات الفكرية التي تبنتها الدولة العربية الحديثة بعد الاستقلال كالاشتراكية والعلمانية وغيرها. ومع الانبعاث الإسلامي في عقد الثمانينات وتبلور مفهوم الدولة الإسلامية برز مفهوم «المشروع الحضاري» والذي هو تفصيل مناهج الحل الإسلامي وتقديم الإسلام كأطروحة حضارية[1].

ولاشك أن سيادة هذا المفهوم في هذا الوقت يحمل دلالات ترتبط بالمضامين التي يختزلها هذا المفهوم وبالتطلعات التي يعبر عنها الفكر الإسلامي في هذا الوقت.

١ـ الكلمة (لبنان) السنة الثانية، العدد ٧، ربيع ١٩٩٥م. مقدمات في صياغة المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر، زكي الميلاد.

-٤-

الفكر الإسلامي: تحديات ومعوقات

إلى جانب تلك التطورات كانت هناك بعض الأفكار والقضايا التي لم يتقدم تجاهها الفكر الإسلامي بقدر ما كان متعثراً في بعض الحالات، ومتوقفاً في حالات أخرى، ومتحرجاً في حالات. وهذا ما ينبغي أن يلتفت إليه المشتغلون في الفكر الإسلامي لتقديم معالجات جديدة حولها.

وقبل الحديث عن هذه القضايا نشير إلى ظاهرة تركت تأثيرها على حركية الفكر الإسلامي وتطوراته فما إن استقبل العالم الإسلامي مرحلة حساسة وخطيرة مع بداية عقد الثمانينات والتي بدأت معها سلسلة من التطورات المتلاحقة والحرجة والهامة. وقبل هذه المرحلة وفي غضونها فقد العالم الإسلامي نخبة من كبار المفكرين الذين كان من التأكيد أن يكون لهم تأثير فكري مهم على تطورات الفكر الإسلامي في علاقته بالمتغيرات الجديدة والمستجدات التي حصلت لاحقاً. ومن هؤلاء الاستاذ «مالك بن نبي» [١٩٧٣م]، والدكتور «علي شريعتي» [١٩٧٧م]، والشيخ «أبو الأعلى المودودي» [١٩٧٩م]، والشيخ «مرتضى المطهري» [١٩٧٩م]، و«السيد محمد باقر الصدر» [١٩٨٠م]، و«السيد حسن الشيرازي» [١٩٨٠م]، و «السيد موسى الصدر» [١٩٨٠م]. هؤلاء الذين عرفوا بعطائهم الفكري المميز والجاد، وكان لهم التأثير الفكري الواضح على العالم الإسلامي. فهم

من رواد النهضة والتجديد والإصلاح في الأمّة. غيابهم جاء في وقت كان فيه العالم الإسلامي المعاصر في أشد الحاجة إليهم. لكنه القضاء والقدر. ومن القضايا التي تمثل تحديات أمام الفكر الإسلامي المعاصر والتي بحاجة إلى مزيد من الاهتمام بها والتعمق بدراستها وإعطائها حظها من العناية المعرفية.

أولاً: لازالت التطورات التي مرت على الفكر الإسلامي المعاصر لا يعيشها ولا يتعاطى معها إلا فئة قليلة جداً هي فئة المثقفين والمشتغلين بقضايا الفكر والثقافة، وبعيدة عن إدراك وتعامل جمهور الأمّة. وهذا مما يفقد هذه التطورات حيوية كبيرة. والذي هو أحد أهم إشكاليات الواقع الإسلامي والفكر الإسلامي، حيث إن العلماء والمفكرين لا يشكلون إلا نسبة ضئيلة لاقياس لها مع تعداد الجمهور وليست لها زيادة ملحوظة. وهذا النقص يخلق فجوة عميقة وواسعة تعرقل نهضة الفكر والثقافة في العالم الإسلامي.

من جهة أخرى إن تطورات الفكر الإسلامي لاتجد لها اهتماماً وتفاعلاً من جهة الدولة ومؤسساتها وخططها ومشاريعها في العالم العربي والإسلامي، ولاتستفيد منها ومن حيويتها وفاعليتها الثقافية في إنماء وتطوير المجتمع والدولة.

ثانياً: قضايا المرأة في الفكر الإسلامي لازالت تعاني من التباسات صعبة وحرجة، بعد أن دخلت على هذه القضايا أعراف وتقاليد وموروثات

وأساطير وغير ذلك. حتى بات من الصعب أن نميز رؤية الإسلام الأصيلة حول المرأة وقضاياها. والمرأة المسلمة لاتجد في هذا الواقع الذي نعيشه ما يحفزها على النمو والنهوض، والذي يؤثر أيضاً على نهضة وتقدم المجتمع برمته.

ثالثاً: إن من أهم عيوب الفكر الإسلامي تلك التي تبرز في قضايا الحوار والتعددية والاختلاف في الداخل الإسلامي. فلازالت هذه القضايا تمثل تشنجات حادة في الواقع الإسلامي، تدفع بالكثير إلى أن يتحرج من الاقتراب منها. في الوقت الذي يرتفع هذا الحرج مع الجهات الأخرى ويتقدم الحوار معها، كالحوار الإسلامي ـ المسيحي، أو الحوار الإسلامي ـ القومي، أو حتى الحوار الإسلامي ـ العلماني.

وبالتأكيد فإن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال التحفظ على هذه الحوارات أو الاعتراض عليها. وإنما نريد أن نكشف عما يحيط بالحوار الإسلامي ـ الإسلامي من حساسيات وتشنجات تجعل من البعض يهرب من هذه القضايا ولايقترب منها. وهكذا في قضايا التعددية والاختلاف فلا نزال نسلب من الآخر الإسلامي حقه في التعددية والاختلاف والذي يعني سلب حقه في العقل والتفكير والاجتهاد. يضاف إلى ذلك القطيعة الثقافية بين الفكرين الإسلاميين السني والشيعي، فلا مانع عند البعض أن يأخذ من ثقافات الغرب ما يشاء لكن أن يأخذ السنّي من فكر الشيعي أو العكس فهذا ما يتعامل معه البعض بحرج، وحرج شديد عند بعض آخر.

رابعاً: قضايا التربية والتعليم والتعليم العالي والبحث العلمي في البلاد العربية والإسلامية من أشد الهموم والقضايا التي بحاجة إلى اهتمام مكثف من الفكر الإسلامي. فلا نزال ندافع عن حماية الحد الأدنى من التعليم ومكافحة الأمية التي لم نستطع أن نسيطر عليها بعد. وهذا يتطلب رفع مستوى الوعي عند الناس في كيفية التعامل مع العلم والنظر إليه.

والغريب حقاً أن عندنا من الدين حول العلم والتعليم ما يتناقض كلياً مع ما نعيشه من أوضاع في حقول التربية والتعليم. وما لم نتقدم خطوات باتجاه العلم فلن نتقدم خطوات باتجاه الحضارة.

خامساً: قضايا التنمية والإنماء هي الأخرى بحاجة إلى اهتمام من الفكر الإسلامي. فالفقر والحرمان وانسداد أبواب الرزق هي من أخطر المشكلات الاجتماعية والاقتصادية في البلاد العربية والإسلامية.

سادساً: في الوقت الذي ينشغل العالم بالإسلام وهناك من يتقصد تشويهه وإخافة العالم من صعوده وتقدمه، لم نستطع نحن أن نقدم الإسلام على نطاق عالمي. وفي هذا الجانب تبرز قضايا العلاقة بين الغرب والإسلام، وقضايا حوار الحضارات وتعارفها. ومشكلة العلاقة بين الغرب والإسلام هي من أكبر القضايا الفكرية والحضارية على مستوى العالم.

إلى جانب هذه القضايا هناك مشكلات التعامل مع التراث وأزمة التخلف والأزمة الثقافية وهي من الأمور التي بحاجة إلى اهتمام في الفكر الإسلامي المعاصر.

وفي الختام فإن ما نتوصل إليه أننا أمام فترة يمكن أن نؤرخ فيها لمرحلة جديدة في مسار الفكر الإسلامي حيث تحيط به التطورات والمتغيرات من كل جانب تفرض عليه أن يكثف اشتغالاته، وأن يجدد في منهجياته بما يستوعب المستجدات المعاصرة التي تراكمت عليه حتى شكلت ما يسمى عند البعض منطقة فراغ واسعة، وأن يحرك قدراته الاجتهادية والتجديدية بما يضمن له الحضور بعد زمن الغياب.

وما توصلنا إليه أن الفكر الإسلامي أخذ مسار الحركة، وبدأ يتقدم في بعض الجوانب، وتعثر في جوانب أخرى، ولازالت تنتظره مهام كثيرة، منها تراكمات من الماضي، ومنها مستجدات من الحاضر، ومنها تحديات وآفاق من المستقبل.

إنني لا أجزم في هذا العمل الإحاطة بكل تطورات الفكر الإسلامي ومساراته المعاصرة، أو تحدياته ومعوقاته. لكنني أجزم الإحاطة بجوانب رئيسية وهامة في هذه التطورات.

الفصل الثالث

الفكر الحركي الاسلامي

تحولات في المسار ومراجعات في المنهج

نقصد بالفكر الاسلامي الحركي، تلك المنظومات الثقافية التي تحملها الحركات الاسلامية، وتعبر عنها في مناهجها في التغيير، وبرامجها في الاصلاح الاجتماعي. والفهم الجوهري والعميق لظاهرة الحركة الاسلامية، يتحدد من دراسة فكرها الحركي الذي يصوغ شخصية هذه الحركات، ويبلور ملامح سلوكها العام، وطريقتها في التفكير والنظر والتحليل. فالفكر يمثل موقع المخ في كيان الحركة، وجهازها المفاهيمي والتفكيري ... وهذا يعني أن دراسة الفكر الحركي يعني معرفة الحركة الاسلامية من الداخل، في مكوناتها ومبتنياتها وتشكلاتها.

والصعوبات والمشكلات المعرفية والمنهجية التي كانت تعرقل في العقود الماضية امكانية الإحاطة العلمية في دراسة الحركة الاسلامية في فكرها الحركي، فإن هذه الصعوبات والمشكلات [المعرفية والمنهجية] في هذا الوقت فقدت فاعليتها نسبياً، وبات من الممكن إلى حد كبير دراسة الفكر الحركي في إطار شروط البحث العلمي ومستلزمات التقنيات المنهجية، بعد

المحاولات التي بذلتها الحركات الاسلامية في التعريف عن نفسها بتوفير البيانات والوثائق، وتوثيق تجربتها التاريخية، والاعلان عن أفكارها وتصوراتها الحركية ومنهجياتها في التغيير والاصلاح.

وما نريد أن ندرسه من الفكر الحركي هو معرفة إلى أين وصل هذا الفكر؟ وإلى أين يريد أن يصل بالحركة الاسلامية المعاصرة؟ وما هي متطلباته الراهنة على ضوء المتغيرات العالمية الكبرى؟ ومستقبلياته والاعداد لها؟ .

وبتحديد أكثر إن تساؤلات كثيرة وحرجة بدأت تطرح أمام الفكر الحركي وتفرض عليه إجابات واضحة، بالاضافة إلى الاشكاليات التي تواجهه من الداخل!

تحليل مشكلات الفكر الحركي

في الوسط الحركي الاسلامي هناك من يعتقد أن الفكر الحركي الاسلامي يعاني من أزمة فكرية داخلية، وهذا ما يعبر عنه الاستاذ «جاسم مهلهل الياسين» من قيادات الحركة الدستورية في الكويت، حين يقول: (من الأزمات التي تعترض الحركات الاسلامية، أزمة الفكر الحركي حيث أصابها شيء من الجمود والتوقف، وأصبح فكرها غير قادر على إخراجها من أزمتها، والفاحص يجد أن الكثير أو القليل من التعثرات هي انعكاسات وآثار مختلفة للأزمة الفكرية، حيث اختلطت الأوراق، واضطربت

الأولويات وتعرضت قدرة العطاء إلى الذوبان، وتأخر مستوى الأداء وشكله، وعلى هذا لابد أن تعطى قضية الفكر الحركي الأولوية كأساس في بداية الانطلاقة الجديدة، ولابد من إعطاء هذه المسألة الحق في النقاش والحديث من أجل الوصول إلى النضج)[1].

وفي تحليل آخر لهذه الأزمة في الفكر الحركي يقول: الدكتور «محمد فتحي عثمان» ـ مستشار المركز الاسلامي بلوس انجيلوس، واستاذ بجامعة جنوب كاليفورنيا ـ أن «مشكلة الحركات الاسلامية المعاصرة الكبرى، هي عدم وضوح العنصر الدينامي الاجتهادي في أسسها الفكرية، وأن وضح في تكوينها التنظيمي ونشاطها العملي، فهي «معاصرة» من حيث قيام انتخابات لاختيار اعضاء مجلس ادارة تضطلع بها الجمعية العمومية للأعضاء، وهي «معاصرة» في نشاطها العملي: تعقد المؤتمرات والندوات، وتصدر الصحف وتستعمل الإذاعة والتلفزيون إذا أمكن، وقد تقيم مؤسسات اقتصادية، أو اجتماعية من مدارس ومراكز طبية، وتقدم مساعدات نقدية أو عينية، وقد تدخل انتخابات، ولكنها في أسسها الفكرية تتقيد غالباً بما هو مدون في تراثنا الفكري وتغفل عن خط الاجتهاد في الفهم والاستنباط والتطبيق»[2].

١ـ الفكر الحركي وسبل تجديده. أبحاث وتعقيبات الندوة الثانية لمستجدات الفكر الاسلامي والمستقبل، الكويت: الامانة العامة للأوقاف، ١٩٩٣م، ص ٣١١.

٢ـ الحركة الاسلامية رؤية مستقبلية: أوراق في النقد الذاتي. تحرير وتقديم: د. عبد الله النفيسي، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٩م، ص ٣٠١.

ومن زاوية أخرى يرى الدكتور «أحمد كمال أبو المجد» «أن كثيراً من الداعين إلى الاسلام والمتحدثين عن مبادئه وقيمه ونظمه وثقافته يتحدثون في عبارات عامة وغامضة عما يسمونه «الحل الاسلامي»، وعن «منهج الله المقابل لمناهج البشرية»، وعن الحاجة إلى «أسلمة الحياة» و «أسلمة المعرفة» و «أسلمة العلوم» ... ثم لا يزيدون، ولا يعرضون على الناس عناصر هذا المنهج ومكونات ذلك الحل، ووسائل وضعه موضع التنفيذ، مما تصور معه بعض الناس ـ معذورين في ذلك ـ أن التيار الاسلامي بكل روافده ليس له توجه فكري محدد، وأن منهجه في الاصلاح لا يتجاوز ترديد عدد من «الشعارات المثالية» التي تتضمنها نصوص قرآنية أو أحاديث نبوية ... دون محاولة لوصل ذلك كله بواقع الناس، وحقائق العصر ... مما يغدو معه التيار الاسلامي ـ بكل روافده ـ تياراً غير ذي موضوع، وغير ذي جدوى في مسيرة العمل الوطني في أي مكان ...»[1].

هذه التحليلات في قراءة مشكلات الفكر الحركي تكشف عن أزمة حقيقية في هذا الفكر، وليست سطحية أو عابرة. واذا كان هناك اختلاف في وجهات النظر إنما هو في تحليل هذه الأزمة، وليس في عدم وجودها. والاختلاف في تحليل هذه الأزمة يرجع للشروط الموضوعية والمنهجية، حيث ان الحركات الاسلامية ترتبط بخصوصيات اجتماعية مختلفة،

١ـ رؤية اسلامية معاصرة: اعلان مبادئ. تقديم: د. أحمد كمال أبو المجد، القاهرة: دار الشروق، ط١، ١٩٩١م، ص ٦.

وظروف زمنية متباينة، ومسارات حركية متعددة، ومستويات متفاوتة في النمو والتجربة والخبرة. من جهة أخرى ان العقل الاسلامي الحركي وصل إلى درجة من النضج من المفترض ان يكون أكثر تقبلاً للنقد، بل ويمارسه في إنتاج مثل هذه القراءات النقدية التي ينتظر منها تجديد وتطوير الفكر الاسلامي الحركي ...

ومن المؤكد أن مشكلات الفكر الحركي كبنية معرفية، لا تنفصل عن واقع الحركة الاسلامية كبنية موضوعية سلوكية، أي في التداخل الجدلي بين ما هو نظري وما هو عملي، وبين ما هو معرفي وما هو سلوكي، فلا فصل بينهما، ولا تحديد كمي أو كيفي في العلاقة بينهما، لأن هذه العلاقة وتفسيرها ترتبط بكل حركة كوحدة معرفية وموضوعية، لها تمايزها في الطبيعة والمكونات والمنهج والزمن والمجتمع ...

وبعض مشكلات الفكر الحركي الاسلامي منها ما يرتبط بالمراحل السابقة [الخمسينات، والستينات والسبعينات]، ومنها ما يرتبط بالمراحل الراهنة [الثمانينات، والتسعينات]. ما يرتبط بالمراحل السابقة تتحدد المشكلات بضرورات التجديد، وما يرتبط بالمراحل الراهنة تتحدد هذه المشكلات بضرورات المعاصرة ...

ضرورات التجديد في تنظيم العلاقة بين مكتسبات الموروث الحركي الذي يمتد منذ حركات الاصلاح الاسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، إلى الحركات الاسلامية في النصف الأول من القرن

العشرين الميلادي. [الاخوان المسلمون، ١٩٢٨م] و [جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ١٩٣١م] و [الجماعة الاسلامية في شبه القارة الهندية ١٩٤١م].

أما ضرورات المعاصرة: فإن الساحة الاسلامية منذ حقبة الثمانينات، تعيش تحولات ومتغيرات في غاية الحساسية والخطورة حيث انقلبت معها موازين القوى في بعض الأقطار كإيران التي شهدت ثورة إسلامية، وتحول العامل الشعبي من عامل مكبوت ومغيب إلى عامل فاعل بطريقة احتجاجية، وتصاعد حضور الحركة الاسلامية بشكل لم يسبق له مثيل، الأمر الذي فرض على المشروع الاسلامي والفكر الحركي الاسلامي أن يقدم بدائله الاسلامية في صورة برامج وخطط ومشاريع لإصلاح وانهاض الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتربوية والاعلامية ... الخ.

مما جعل المشروع الاسلامي والفكر الحركي الاسلامي على المحك الحقيقي في أن يمتحن قدرته على تحويل شعاراته إلى واقع، وأفكاره إلى مشاريع، ومفاهيمه إلى برامج، وفي أن يمضي بخطوات حقيقية في إصلاح الأوضاع العامة.

هذه التحولات مع معطيات أخرى كانت حوافز وضرورات المعاصرة في تكوين الفكر الحركي الإسلامي.

تحولات الفكر الحركي الاسلامي

بصورة موجزة وسريعة نؤرخ لتحولات الفكر الاسلامي الحركي في القرن الأخير كمدخل معرفي لا غير، ولتأسيس القاعدة المنهجية لهذه القراءة ...

مسارات التحول يمكن أن نؤرخ لها بالمراحل التالية:

المرحلة الأولى: بلورة المشروع الاسلامي الاصلاحي التي يؤرخ لها عادة مع انطلاقة السيد (جمال الدين الأفغاني) [١٢٥٤ـ١٣١٥ هـ/ ١٨٣٨ـ١٨٩٧ م] في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ...

وشارك في بلورة هذا المشروع الاسلامي الاصلاحي، بعض رموز الاصلاح في العالم العربي والاسلامي منهم الشيخ (محمد عبده) [١٢٦٦ـ١٣٢٣ هـ/ ١٨٤٩ـ١٩٠٥ م]، والشيخ (عبد الرحمن الكواكبي) [١٢٧٠ـ١٣٢٠ هـ/ ١٨٥٤ـ١٩٠٢ م] و (الميرزا حسن الشيرازي) [١٢٣٠ـ١٣١٢ هـ/ ١٨٠٩ـ١٨٩١ م] وغيرهم ... والفكر الاسلامي الحركي المعاصر يرجع في امتداده التاريخي والفكري والسياسي لتلك المرحلة ...

المرحلة الثانية: بلورة مشروع الحركة الاسلامية كإطار جماعي منظم للعمل الإسلامي، مع الاهتمام بابراز المفاهيم الحركية ومفاهيم الدعوة والعمل في الاسلام ... وهذا ما توجهت إليه كتابات الشيخ (حسن البنا) [١٣٢٧ـ١٣٧٠ هـ/ ١٩٠٦ـ١٩٤٩ م] و (أبو الأعلى المودودي) [١٣٢١ـ١٣٩٨ هـ/ ١٩٠٣ـ١٩٧٩ م] وكتابات جماعة كثيرة من العلماء

والكتاب والمفكرين الذين كانوا على ارتباط بالحركة الاسلامية والعمل الاسلامي في أقطار عربية واسلامية عديدة.

المرحلة الثالثة: بلورة الفكر الجهادي حركياً في مواجهة الحكومات، وكان المنظر الأبرز لهذا التوجه هو (سيد قطب) [١٣٢٤ـ١٣٨٦هـ/ ١٩٢٣ـ١٩٦٥م].

المرحلة الرابعة: التأكيد على الحل الاسلامي ونقد الحلول المستوردة، وذلك بعد نكسة حزيران سنة ١٩٦٧م، وبداية الصعود التدريجي للحركة الاسلامية.

المرحلة الخامسة: تبني الفكر الثوري والنهوض الجماهيري مع انتصار الثورة الاسلامية في ايران في سنة ١٩٧٩م.

المرحلة السادسة: الدعوة إلى تحديث وتجديد الحركة الاسلامية وتأهيلها لتكون في مستوى المرحلة ومتطلباتها الموضوعية. وذلك تقريباً في النصف الثاني من حقبة الثمانينات ...

المرحلة السابعة: الدعوة إلى حركة اسلامية جديدة مع عقد التسعينات ... وبالتأكيد فإن هذا التحقيب التاريخي والموضوعي إنما يمثل وجهة نظر، ولا أجزم بأنه يمثل تحليلاً علمياً دقيقاً ...

من جهة أخرى إن في كل مرحلة من المراحل المذكورة كانت هناك مسارات مغايرة وتوجهات متعددة ومختلفة، ليس من الصواب اغفالها أو تجاوزها أو اختزانها.

تجديد الفكر الاسلامي الحركي

مسارات التحول في الفكر الاسلامي الحركي وصل إلى مرحلة باتت الحاجة فيها ملحة لتجديد هذا الفكر، سعياً وتطلعاً لصياغة جديدة للحركة الاسلامية ...

والدعوة إلى تجديد الفكر الاسلامي الحركي في سياقه الزمني، مر في مرحلتين:

المرحلة الأولى: وكانت في بداية حقبة الثمانينات حين دعا الدكتور (حسن الترابي) في السودان، والاستاذ (راشد الغنوشي) في تونس، إلى «تحديث الحركة الاسلامية» وقد صدر لهما كتاب مشترك حمل عنوان «الحركة الاسلامية والتحديث»[1]، ويراد من التحديث هنا بلورة فكر حركي جديد يتجاوز فكر الاخوان المسلمين في مرحلتي (حسن البنا) و (سيد قطب) ... وهو الفكر الذي هيمن لعدة عقود من الزمن على الحركة الاسلامية في البلاد العربية، إلى أن أعتقد البعض أن هذا الفكر وصل إلى مرحلة الأزمة أو العقم[2]

وتجديد الفكر الحركي هنا يراد منه تحويل هذا الفكر من خصوصياته

١ـ صدر الكتاب عن دار الجيل: بيروت، ١٩٨٤م.

٢ـ الحركة الاسلامية في الدوامة حوار حول فكر سيد قطب» دار البراق، تونس، ط١، ١٩٨٥م، وهو يتضمن عدداً من المقالات كتبها «عبدالله أبو عزة» في مجلة الشهاب اللبنانية التي كانت تصدر عن الجماعة الاسلامية في لبنان في سنة ١٩٧٣م. والكتاب من اعداد صلاح الدين الجورشي.

العالمية إلى خصوصياته المحلية، ومن تكوينه الاطلاقي إلى تكوينه الموضوعي.

وعن هذا التحول والتجديد يقول الدكتور (حسن الترابي) عن تجربة الحركة الاسلامية في السودان (من بعد الوقوف عند المطلقات، والمجردات والعموميات والعالميات في دعوة الحركة وفكرها، تطور بها الأمر نحو الواقعية، فالتطور المضطرد في وظائف الحركة نحو التحامها بشأن المجتمع تطور بها من الهموم الخاصة إلى هموم المجتمع، وإلى التفاعل مع قواه الفاعلة. فتطور بخطابها من الإلقاء به مجرداً وعاماً من بعيد إلى تصويبه على حاجات المجتمع وأوضاعه وقطاعاته. وبعد التعويل على الفكر الوارد من الأدب الاسلامي العالمي، اضطرت الحركة إلى التفاعل الفكري مع الواقع المعين. فغدا فكرها من ثم موصولاً بالمكان والزمان. أي بالسودان وبقضاياه المحلية، أو بالقضايا العالمية كما تنعكس أصداؤها فيه)[1]. وعن تجربة تونس يقول الاستاذ (راشد الغنوشي) (دخلت الحركة سلسلة من المراجعات الفكرية انصبت خاصة على مراجعة فكر «سيد قطب» الذي كان له التأثير في العشرية التي سبقت [ما بين حقبة الستينات والسبعينات]، بما حمله هذا الفكر من تركيز على المسألة العقدية والخلقية، وإهمال يكاد يكون كاملاً لمسألة الثروة، ومسألة الديمقراطية والحريات العامة.

١ـ الحركة الاسلامية في السودان. التطور والكسب والمنهج. د. حسن الترابي، الخرطوم، من دون ذكر الناشر، ١٤١٠هـ، ص ٢٣٠.

لقد ركز فكر «سيد قطب» أهم قيمه الاجتماعية على قيم «العزلة والجاهلية والتميز والمفاصلة» فكان من الطبيعي أن يصنع حركة لا تقدر على تطوير المجتمع، بل تقدر على مصادمته والعزلة عنه، لكنها بعيدة عن أن تكون عنصر تطوير فيه، وتحدث التفاعل بين الإسلام كعقيدة، وبين هموم الناس في العيش وفي الصحة والسكن، وفي التعليم، وتتفاعل مع قضية الحرية)[1].

ومع هذا النقد الذي يتعرض له فكر «سيد قطب» والذي وصفه البعض بفكر «المحنة»، إلا أن هذا الفكر لا زال له حضوره القوي في الساحة الاسلامية، وفي نظر البعض إن المحاولات التجديدية التي اتجهت صوب هذا الفكر لم تعط ثمارها بشكل فاعل ونهائي.

وعن ذلك يقول الاستاذ (موسى أبو مرزوق) من حركة حماس الفلسطينية (إن الفكر الاسلامي الحركي في الستينات، وأوائل السبعينات، قد اتسم بردة فعل أججتها سنوات المحنة والابتلاء، فنضج فكر «محنوي» لا زلنا نعاني منه حتى الآن. لذلك فإن الكثير من معالجات المفكرين واطروحاتهم الحالية تتجه صوب ذلك الفكر محاولة تغييره أو الدفع في اتجاه تجاوزه، وتبني منطلقات حركية جديدة. إلا أنها لا تحظى بذلك المستوى من المصداقية التي تؤهلها لايصال رؤيتها وتبني نظراتها داخل الإطارات الحركية بنفس الكفاءة والتقبل التي استقبلت بها الأجيال ثقافة

١ـ الانسان (فرنسا) السنة الاولى، العدد الاول، ابريل ١٩٩٠م، رمضان ١٤١٠م.

وفكر العقدين السادس والسابع من هذا القرن، مما تسبب في خلق حالة عدم التوازن بين قوى التوجيه ومدارس التنوير الحركية داخل مساحات الاجتهاد ومنهجيات التقييم الحالية.

فالناظر إلى ساحة التحرك الاسلامي وخلفية الفكر الدافع لها، سيجد أن الكثير من القضايا المتداولة قد تم ترحيلها وتحميلها لعقود الثمانينات والتسعينات، بينما هي تنتسب لعقد أو عقود سابقة، وقد تبلورت فيها قناعات، وخلصت عنها نتائج مؤداها اجتهادات لتجاوزها وطرح بدائل أكثر تفهماً وتعايشاً للواقع، وأشد حرصاً على التعامل معه في اتجاه البناء والاصلاح. إلا أن فكر «المحنة» واشكالياته لا زال سائداً تتناوله الاقلام وتعيد فيه القول تأكيداً، أو ترسيخاً، برغم وجود الحاجة إلى نمطية جديدة ورؤية متجددة)[1]

المرحلة الثانية: جاءت كتقويم لمسار الحركة الاسلامية خلال عقد الثمانينات حيث تعرضت فيها لمشكلات خطيرة، وانتكاسات صعبة في بعض الأقطار ... هذه المشكلات والتحديات والانتكاسات بعضها يرجع لأسباب موضوعية، وبعضها لأسباب ذاتية، وفي كلتا الحالتين كان الوضع يرتبط بطبيعة تقويم الحركة الاسلامية للظروف والأوضاع التي كان ينقصها في حالات كثيرة عدم الدقة العلمية والإحاطة الموضوعية الشاملة، مع ضعف في الإدارة نتيجة ضعف في الكفاءات والإمكانيات.

١ـ الحركة الاسلامية في ظل التحولات الدولية وأزمة الخليج. ندوة، إشراف: أحمد بن يوسف، شيكاغو: المؤسسة المتحدة للدراسات، ط١، ١٩٩١م، ص ٤١٢.

هذا التقويم لمسار الحركة الاسلامية كان حافزاً للدعوة إلى حركة اسلامية جديدة، في أطروحتها الفكرية، ومشروعها الاجتماعي، ونهجها السياسي. وفي هذا السياق جاءت.

اطروحة السيد (محمد حسين فضل الله) في كتابه «الحركة الاسلامية هموم وقضايا»[1] التي اعتبرها تأملات «تصلح أن تكون عنصراً من عناصر الإثارة الفكرية التي تخطط للمنهج الفكري الذي يحاول إبداع نهج لحركة اسلامية جديدة تعمل بكل قوة ووعي وتدقيق من أجل أن يكون الاسلام قاعدة للفكر والعاطفة والحياة ولم تنطلق من فكر تجريدي ـ وإنما ـ من موقع الحركية الاسلامية في صعيد الواقع الذي عاشته الحركة الاسلامية في طبيعتها الذاتية، وفي الأجواء المحيطة بها، وفي التحديات الصعبة التي تواجهها، على مستوى الشكل والمضمون. وقد تكون قيمتها ـ فيما تعالجه من قضايا ـ أنها كانت تتحرك من خلال المشاكل التي أثارتها التعقيدات الفكرية والعملية التي عاشت في ساحة الحركة الاسلامية في مواقع الصراع الداخلي في اتجاهاتها المتنوعة، وفي مواقع الصراع الخارجي في الاتجاهات غير الاسلامية من تيارات وقوى واحزاب. فقد نلاحظ أن الاسلاميين الحركيين لم ينفتحوا على الكثير من التحديات الصعبة من منطلق الواقع ليواجهوها بطريقة واقعية بل انفتحوا عليها من منطلق الأفكار العامة الكلية)[2].

١ـ صدر الكتاب عن دار الملاك في بيروت، سنة ١٩٩٠م.

٢ـ المصدر نفسه. ص ١٠.

وفي مصر حاول بعض رجال الفكر والثقافة صياغة بيان يحمل عنوان «نحو تيار اسلامي جديد»، وعن خلفيات هذه المبادرة كما جاء في البيان (إن وجود تيار فكري إسلامي جديد، ينير الطريق أمام جماهير المسلمين على امتداد العالم الاسلامي ويعينها على حل مشاكلها المتراكمة بمواقف واجتهادات وحلول تنبع من الرؤية الأساسية التي يمنحها للفرد المسلم إيمانه بالله ورسوله وبمبادئ الاسلام وقيمه العليا وتعاليمه، هذا الوجود قد أصبح ضرورة تشير إليها ظواهر عديدة، كما أصبح التعجيل باعلانه ضرورة أخرى)[1]

وفي مرات عديدة نشرت في الاعلاميات العربية والاسلامية مواضيع حول «اعادة صياغة للحركة الاسلامية» و«نحو حركة اسلامية جديدة» ... الخ.

واعتقد أن هناك عوامل مساعدة وحيوية في اعادة صياغة الحركة الاسلامية، بل إن الواقع بدأ يفرز حركات اسلامية جديدة ...

ومن هذه العوامل:

أولاً: إن التجربة التي مرت بها الحركة الاسلامية في العقود الثلاثة الأخيرة، أفرزت العديد من التساؤلات والحوارات والمراجعات والتأملات التي كانت تؤكد على ضرورة تجديد وتطوير الحركة الاسلامية وفكرها الحركي ...

ثانياً: إن الحركة الاسلامية اليوم أكثر استعداداً من أي وقت مضى على

١ـ رؤية اسلامية معاصرة: اعلان مبادئ. مصدر سابق، ص ١٨.

تقبل المتغيرات والاستجابة الايجابية للتحولات، ومن يراقب الحركة الاسلامية في السنوات الأخيرة يجد أن المتغيرات والتحولات التي حصلت فيها كانت أسرع وأعمق عما كانت عليه من قبل.

ثالثاً: التجديدات الفكرية في المنظومات الثقافية للحركة الاسلامية ولأطروحتها العامة ...

رابعاً: التراكم المعرفي في الفكر الحركي، وتعدد مصادره، والانفتاح الايجابي على هذه المصادر.

خامساً: تنامي ممارسة النقد والنقد الذاتي على نطاق واسع في داخل الحركات الإسلامية.

سادساً: الاقتراب الواسع والمباشر من الواقع. تفاعلاً وتعايشاً وتصدياً وعطاءً. وتنزيل ما عند الحركة الاسلامية من أفكار ومفاهيم وبرامج ومناهج وتلاقحها بصورة مباشرة مع الواقع الموضوعي بكل تعقيداته وتداخلاته وحساسياته وتناقضاته.

سابعاً: إن جيلاً جديداً بدأ يتصدى لإدارة الحركة الاسلامية وقيادة العمل الاسلامي. وكل جيل له تحولاته الجديدة وتطلعاته في التغيير والتجديد.

تطور التراكم المعرفي في الفكر الحركي

هناك تطور ملحوظ يعكس التراكم المعرفي في الفكر الحركي، ويمكن تصوير هذا التطور في الشكل التالي:

ـ بين حقبة الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن كان الفكر الحركي للاخوان المسلمين وبالذات فكر حسن البنا يكاد أن يكون هو المسيطر على الساحة العربية.

ـ وفي حقبة الخمسينات إنضاف إلى جانب الفكر الحركي للإخوان المسلمين، فكر أبي الأعلى المودودي حين ترجمت مؤلفاته في بداية الخمسينات في القاهرة.

كما ظهر أيضاً فكر حزب التحرير الاسلامي الذي أعلن عن وجوده في سنة ١٩٥٢م.

ـ في حقبة الستينات برز فكر سيد قطب الحركي الذي اكتسب اهتماماً مميزاً عند قطاع واسع في الحركة الاسلامية.

ـ وفي حقبة السبعينات كانت هذه المصادر المذكورة في الفكر الحركي تكاد تكون المسيطرة على الساحة العربية وبينها تجاذبات ومجالات احتجاجية.

ـ في حقبة الثمانينات برز إلى الوجود الفكر الحركي الشيعي بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران ...

ـ ومن حقبة الثمانينات إلى عقد التسعينات تعددت مصادر الفكر الحركي الاسلامي وتطور الاهتمام بهذا الفكر بدرجة كبيرة ساعد على نموه وتنضيجه وتعميقه ... وبدأت تنكمش تقريباً المصادر الحركية التقليدية وتترك المجال للمصادر الحركية الجديدة ...

من نقد الآخر إلى نقد الذات

من تحولات الخطاب الاسلامي في أحد مساحاته، والفكر الحركي في أحد جوانبه، التحول من نقد الآخر إلى نقد الذات. الظاهرة التي نلمسها بوضوح في مؤلفات وكتابات الشيخ (محمد الغزالي) والشيخ (يوسف القرضاوي) وهما من دعاة ومنظري الحركة الاسلامية، ففي العقود الماضية كانت مؤلفاتهما يتركز فيها نقد التيارات المغايرة للمرجعية الاسلامية والمتصادمة معها كالعلمانية والاشتراكية، أما مؤلفاتهما بعد الثمانينات فيتركز فيها نقد التيار الاسلامي في إطار الترشيد، كما هو واضح في كتاب «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث»[1] وكتاب «تراثنا الفكري بين ميزان الشرع والعقل»[2] وهما من مؤلفات الشيخ الغزالي.

ومن مؤلفات الشيخ القرضاوي في هذا المجال كتاب «الصحوة الاسلامية بين الجمود والتطرف»[3] وكتاب «اين الخلل» و «الصحوة الاسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم»[4] إلى جانب هذه الكتابات تصاعد الاهتمام في الوسط الاسلامي بالدراسات والكتابات النقدية للحركة الاسلامية وفكرها الحركي بعد أن كانت غائبة أو نادرة جداً،

١ـ احدث هذا الكتاب في وقته جدلاً واسعاً في الوسط الاسلامي، وخلال سنة واحدة صدر منه عدة طبعات ... وقد صدر الكتاب عن دار الشروق بالقاهرة، ط٨، ١٩٩٠م.

٢ـ صدر الكتاب عن دار الشروق بالقاهرة.

٣ـ صدر هذا الكتاب بدولة قطر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤٠٢هـ.

٤ـ الكتاب من إصدار مؤسسة الرسالة في بيروت، ١٩٩٣م.

بحيث (أن الناظر في السوق الفكرية الاسلامية يرى الاهتمامات متباينة، ولكنها تصب في النهاية في مديح العمل الاسلامي وليس نقده وترشيده)[1] وقد اكتسبت هذه النوعية من الدراسات أهمية في الساحة الاسلامية وخارجها لقيمتها النقدية.

كما ساهمت في تعميق وتأصيل وتنضيج الوعي بمفهوم «النقد والنقد الذاتي» ومكتسباته الحيوية، حاضراً ومستقبلاً، ذاتياً وموضوعياً، مما شجع على تزايد هذه الأبحاث. وهذا ما اكدت عليه ورقة عمل ندوة «مستقبل الحركة الاسلامية في ظل التحولات الدولية وأزمة الخليج»[2] واشنطن ١٩٩١م حيث ورد فيها (نحن مدعوون إلى ان نعيد دراسة وقراءة المصادر الفكرية والثقافية للعقل المسلم المعاصر قراءة نقدية جادة، بشكل علمي منهجي مستفيض يقدم رسماً تشريحياً له، بكل مكوناته المؤثرة فيه، بايجابياته وسلبياته، بمدخلاته ومنتجاته، طريقاً إلى التبديل الثقافي المنشود، وإلى بعث الأمة المسلمة من جديد. فنتعرف على طبيعة البرامج التربوية التي تبنتها الحركات الاسلامية واسفرت عن تشكيل الشخصية الحركية المعاصرة، وما أثر هذا البعد التربوي ـ سلباً وايجاباً ـ في المواقف والقرارات التي اتخذتها وتتخذها رموز العمل الاسلامي في مواجهة الأحداث والمتغيرات. وهل ثمة نظرة مستقبلية لهذه المنظمة من الأفكار

١ـ في النقد الذاتي: ضرورة النقد الذاتي للحركة الاسلامية. خالص جلبي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٥م، ص ١٨.

٢ـ انظر الكتاب الخاص بالندوة. مصدر سابق.

والخطط والمناهج التربوية داخل البيت الاسلامي الحركي)[1].

من النخبوية إلى الجماهيرية

من جملة التحولات التي يشهدها الفكر الاسلامي الحركي تحول هذا الفكر من نمطه النخبوي الطليعي إلى النمط الجماهيري. وقد جاء هذا التحول كانعكاس لتحول في مسار الحركة الاسلامية بعد النهوض المتعاظم الذي شهدته الصحوة الاسلامية مع حقبة الثمانينات حيث المد الجماهيري والمشاركة الشعبية في القضايا الاجتماعية العامة توثقت معه العلاقة بين الحركات الاسلامية كنخب حركية وبين الشارع الجماهيري الوضع الذي أتاح امكانية التواصل والتفاعل مع الفكر الحركي وممارسته في أنشطة سلوكية.

من السرية إلى العلنية

الى ما قبل الثمانينات كان الفكر الحركي في نظر بعض الحركات الاسلامية يعتبر من القضايا السرية والخاصة، وخلال السنوات الماضية بدأ يتحول هذا الفكر أو نسبة كبيرة منه من طور السرية إلى طور العلنية، خصوصاً عند الحركات الاسلامية الشيعية التي كانت إلى وقت طويل لا يعرف عنها إلا الشيء القليل، ومن يحاول أن يؤرخ لها يجد صعوبة حقيقية

١ـ المصدر نفسه. ص ١٠.

في الحديث عنها، حتى ليكاد يفضل عدم الكتابة عنها.

وهذا التحول إلى العلنية في الفكر الحركي هو في حقيقته تحول من الحالة الطليعية إلى الحالة الجماهيرية عند هذه الحركات، بعد أن ارتأت ضرورة إيصال هذا الفكر إلى الناس الذي كان محجوباً عنها لزمن طويل.

مع كل هذا التحول والتطور والتجديد الذي حصل في الفكر الحركي الاسلامي، إلا أنه ما زال ينتظر هذا الفكر الكثير من الاجابات الأساسية في قضايا هامة جداً، لم تحسم بعد بكيفية علمية، وبمنهجية موضوعية، وبطريقة واقعية، كقضية المرأة في الحركة الاسلامية، ومنهج التغيير الاجتماعي، وإدارة الخلافات مع الذات والآخر، وقضايا أخرى كثيرة، يتوقف عليها تطوير خطاب الحركة الاسلامية وبناء حركة اسلامية جديدة.

الفصل الرابع

التجديد الثقافي

في مناهج التغيير الإسلامي المعاصر

التجديد الثقافي في مناهج التغيير الاسلامي يكتسب أهمية كبيرة، ونحن ندرس ونتأمل المشروع الاسلامي الحضاري المعاصر، وإلى أين يسير ! ذلك أننا في مرحلة حساسة ودقيقة للغاية بحاجة إلى تشخيص دقيق وشامل فالعالم من حولنا يتغير بحركة سريعة يكاد يطوِي مرحلة ليجدد نفسه مع مرحلة جديدة في تاريخ الحضارة الانسانية ...

والعالم اليوم بكل مؤسساته وخبرائه يدرسون باهتمام كبير هذه المرحلة وما فيها من تحولات كبرى ومتغيرات خطيرة لا تقل أهمية وخطورة عن تلك التحولات التي حصلت في القرن السادس عشر الميلادي مع بداية مرحلة العلم الحديث. أو التي حصلت في القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي مع الثورة الصناعية والتقدم التكنولوجي. كل ذلك اعداداً وتخطيطاً لمستقبل جديد في تاريخ الحضارة الانسانية. وفي هذا السياق تأتي الدراسة الهامة التي نشرها المفكر والمؤرخ البريطاني المعروف الدكتور بول كنيدي تحت عنوان «من أجل الاعداد للقرن الواحد والعشرين» وبالتأكيد

هناك العشرات مثل هذا النوع من الدراسات. وما يهمنا في هذا المجال هو أن نعرف موقع الاسلام في مستقبل الحضارة الانسانية بعد أن أخذ يطرح اليوم كأحد الخيارات العالمية الكبرى في مستقبليات البشرية. والأهم من كل ذلك هو كيف نقدم الاسلام إلى العالم في هذا العصر المتغير.

هذا هو السؤال الخطير الذي يرجع بنا إلى الانسان المسلم وإلى العقل المسلم وقدرته على أن يكون النموذج القدوة والأسوة الحسنة في الدعوة إلى الاسلام والتبليغ لقيمه ومبادئه وأخلاقه ومثله كما كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قدوة حسنة لتبليغ الاسلام في مجتمع مكة والمدينة، وكما كان أهل بيته عليهم السلام وأصحابه المنتجبون في نشر الاسلام إلى العالم. من هنا تأتي أهمية التشخيص الدقيق لهذه المرحلة في تاريخ أمتنا والعالم، لأن على ضوء هذا التشخيص يتوقف مستقبل المشروع الاسلامي ومناهجه في التغيير.

والتي يتوقف مستقبلها على التجديد الثقافي والحضاري في أنظمتها المفاهيمية وجهازها في التفكير وطريقتها في التخطيط والادارة ...

ماذا نعني بالتجديد الثقافي؟

التجديد الثقافي نعني به ما يقابل الجمود الثقافي في المفاهيم المتجددة تلك المفاهيم التي تزود العقل بحيوية وصحوة في فهم الواقع ومتغيراته والزمن وتحولاته ويترتب عليها كيفية تنزيل الأفكار والمفاهيم على الواقع.

لأن عامل الحركة في الأفكار يتحقق في معايشة هذه الأفكار مع الواقع ومن غير هذه المعايشة تصاب الأفكار بالجمود.

وهذا يعني أن الفهم الخاطئ أو الناقص للواقع سوف ينعكس على حيوية الأفكار وحركتها السليمة في التطبيق، والحركة هي أساس الحياة. فالأفكار الحية هي الأفكار الفاعلة، والأفكار الفاعلة هي الأفكار المؤثرة على الواقع، والأفكار المؤثرة على الواقع هي الأفكار التي نزلت بصورة سليمة. وكما هي القاعدة الأصولية الأحكام تتبع موضوعاتها.

من جهة أخرى ان الجمود الثقافي قد يتحول الى نمطية في التفكير والمنهج، والتجديد الثقافي نمطية أخرى تختلف في التفكير والمنهج ... ومن المفارقات بين هذين النمطين أن عقلية الجمود تميل إلى الماضي وعقلية التجديد تميل إلى المستقبل، العقلية الأولى تميل إلى السكون، والثانية تميل إلى الحركة وهكذا ... إذاً التجديد الثقافي هو في المتغيرات وليس في الثوابت.

والتجديد الثقافي هو للخروج من حالة الجمود إلى حالة الابداع والابتكار والاجتهاد في مناهج التغيير الاسلامي وفهم الواقع واصلاحه وادارته ... في حين أن الجمود الثقافي ينعكس على جمود في مناهج العمل والتغيير، لأن الأفكار هي روح الأعمال كما يقول المفكر مالك بن نبي (١٩٠٥ ـ ١٩٧٣م) وهذا يعني أن التجديد الثقافي هو تجديد في روح الأعمال في مناهج التغيير وتطوير لها ...

لماذا التجديد الثقافي؟

هذا السؤال يضعنا على آفاق ومعطيات التجديد الثقافي في مناهج التغيير الاسلامي بلحاظ المرحلة وما لها من خصوصيات ذاتية وموضوعية، حالية ومستقبلية، مع برمجة وتنظيم في الأوليات ...

أما ضروريات التجديد الثقافي فهي:

أولاً: نحو قفزة فكرية

كل مطلع على شؤون العمل الاسلامي، وكل خبير، لا يشك في أن الحكومة الاسلامية بحاجة ماسة إلى قفزة فكرية ثقافية نوعية، ترتقي بالعمل الفكري الاسلامي بما يواكب حركة التطور العالمي الشاملة والمتجددة، ويستجيب للمشكلات الاجتماعية بمعالجات معمقة، وللتحديات بكيفية مدروسة، سعياً نحو بلورة وصياغة المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر، وقد باتت الحاجة اليوم ملحة إلى هذا المطلب أكثر من أي وقت مضى[1].

ثانياً: اختلاف المرحلة

ما ان استقبلت الحركة الاسلامية حقبة التسعينات حتى وجدت نفسها انها على مفترق طرق، وأمام ظروف بالغة الحساسية، تعج فيها النظريات

١ـ الحركة الاسلامية وآفاق العمل الفكري. زكي الميلاد، بيروت: دار البيان العربي، ط١، ١٩٩٣، ص ٢٠.

والأفكار الجديدة والمستقبلية جعلت من خيارات ومناهج المرحلة الماضية غير صالحة بالضرورة والمعطيات الراهنة. والاشكالية هنا ليست دائماً في النظرية كما في تأويل البعض، بل قد تكون في التطبيق وعنصر الوقت وعدم توفر الشروط الموضوعية المساعدة. وهذا يعني أن ما أنتجته الحركة الاسلامية من مفاهيم وأفكار إذا لم تكن قد استهلكت مع حقبة الثمانينات، فإنها افتقدت شروطها الموضوعية للتطبيق في هذه المرحلة. بالطبع ليس على سبيل الاطلاق لكن على سبيل الاغلبية.

ثالثاً: صياغة البديل

(لم نعد حتى الآن في مرحلة المناداة بأن الاسلام صالح لكل زمان ومكان فإن تلك المرحلة قد انتهت، وينبغي تجاوزها بكل شعاراتها. لم نعد كذلك في حاجة إلى ايجاد موازنات بين الاسلام وغيره لأن هذه المرحلة أيضاً قد انتهت وتجاوزناها. نحن الآن في مرحلة أخرى، هذه المرحلة هي مرحلة تحدٍ كامل، اما أن نكون قادرين على اقناع الأمة بأننا البديل الحضاري المناسب، وأننا الأقدر على تقديم الفكر السليم والثقافة الصحيحة والحضارة القويمة والعمران الاكيد، وأننا نحن المؤهلون لأن نجتاز بالأمة حاجز التخلف ونحقق لها أهدافها في الإنماء والبناء وفي العمران ... والوسيلة الوحيدة لاثبات صحة ما تدعو إليه هي في تقديم البديل الاسلامي لكل ما قدمه الغرب، وتجربة هذا البديل ونجاحه ... والتحدي الاسلامي لا يتم إلا

بتقديم البدائل الناجحة أو المتفوقة في كل جانب، من جوانب الفكر والثقافة والمعرفة والحضارة)[1].

رابعاً: الأفكار قوة

إن الأفكار قوة كما الاقتصاد قوة والسياسة قوة والاجتماع قوة ومن حيث المبدأ المطلوب القوة الشاملة فقد جاء في قوله تعالى ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**﴾[2] فالآية الكريمة لم تقيد القوة أو تحصرها مما يفيد الاطلاق والشمول بشرط القدرة والاستطاعة ...

وميزة قوة الأفكار أنها تدعم وتنشط وتخصب عناصر ومكونات القوة الأخرى. إلا أننا لم ندرك قوة الأفكار كادراكنا لقوة الاقتصاد أو السياسة أو الاجتماع. والتجديد الثقافي إنما يتأسس على الوعي بقوة الأفكار التي بدورها تنعكس على حيوية وفاعلية مناهج التغيير الاسلامي.

خامساً: الثقافة والتطور الشامل

العمل الثقافي من عناصر التطور والنمو الشامل في الأمم والمجتمعات والحضارات. فالثقافة الحية هي التي تنهض بالأمم والحضارات، والثقافة

١ـ الازمة الفكرية المعاصرة تشخيص ومقترحات علاج. د. طه جابر العلواني، واشنطن: المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط١، ١٩٨٩، ص ١١.

٢ـ سورة الانفال، الآية ٦٠.

الميتة تدمر الأمم والحضارات. وفي اطار الجماعات الاسلامية فإن جمود العامل الثقافي والفكري أو توقفه يسبب شللاً عاماً ينعكس على كل مرافق الجماعة وميادين الفعل والتأثير، فتضعف البرامج التربوية، وتهبط فاعلية النشاط الاجتماعي، وتنخفض القدرة الانتاجية بشكل عام في حركة الجماعة.

لأن الفكر وتقدمه يرفع من مستوى القدرة على التفكير والبرمجة والتخطيط والابداع وهذه الخصائص هي التي تفتح آفاق التطور الشامل. والتطور الثقافي أو التجديد الثقافي ينعكس على مناهج التغيير الاسلامي في تحسين مستوى البرمجة والتخطيط والاعداد ...

سادساً: استيعاب التحولات العالمية

من غير التجديد الثقافي لا يمكن استيعاب التحولات العالمية والمتغيرات الجديدة التي بحاجة إلى نظام تفكيري جديد يجعلنا على درجة كبيرة من الوعي فى فهم وتحليل هذه المتغيرات، التي تركت بصماتها على كل المجتمع الدولي، ولا زالت تداعياتها تتفاعل. وقد دخل العالم عصر التحول السريع، وبدأنا نعايش التحولات الكبرى على مستوى تطور تكنولوجيا الفضاء والاتصالات بين قارات العالم أو على مستوى تقدم العلوم وبالذات فى حقل التقنية الحيوية أو الهندسة الوراثية، ومن هذه التحولات الكبرى أيضاً سقوط أكبر ايديولوجية وضعية صاغها الانسان في

العصر الحديث، وهي الايديولوجية الشيوعية التي كانت امتداداً لفلسفات ومذاهب فكرية قديمة في أوروبا. وتعتبر من الفلسفات الموسوعية، فقد أخذت الفلسفة من ألمانيا والاقتصاد السياسي من بريطانيا والاشتراكية من فرنسا. ولعلنا لا نستطيع أن نقدر حجم ومساحة الفراغات والتحولات التي أفرزها سقوط الماركسية في العالم من الناحيتين الفكرية والسياسية ... الأمر الذي يعني أننا بحاجة إلى تحليل حضاري لفهم هذه التحولات. والجماعات الاسلامية ومناهجها في التغيير لا تستطيع أن تفصل نفسها عن هذه التحولات وتدعي بأن هذا لا يعنيها بشيء. فهذه التحولات قد فرضت تحديات حضارية استوجبت تجديدات ثقافية في المنظومة الفكرية للجماعات الاسلامية وتحديث مناهجها في التغيير ...

والحركة الاسلامية في صورتها المبدئية ليست مشروعاً سياسياً فحسب، بل هي في خطتها العامة مدرسة فكرية اجتهادية تسعى للارتقاء بالفكر الإسلامي. والانطلاق به لتجديد الحياة الاسلامية بما يواكب مشكلات العصر وتحديات الحضارة.

التجديد الثقافي ومناهج التغيير

«إن الفكر الاسلامي الحركي في الستينات وأوائل السبعينات، قد اتسم بردة فعل أججتها سنوات المحنة والابتلاء، فنضج فكر «محنوي» لا زلنا نعاني منه حتى الآن. لذلك فإن الكثير من معالجات المفكرين وأطروحاتهم

الحالية، تتوجه صوب ذلك الفكر، محاولة تغييره أو الدفع في اتجاه تجاوزه، وتبني منطلقات حركية جديدة. إلا أنها لا تحظى بذلك المستوى من المصداقية، التي تؤهلها لايصال رؤيتها وتبني نظراتها، داخل الإطارات الحركية بنفس الكفاءة والتقبل التي استقبلت بها الأجيال ثقافة وفكر العقدين السادس والسابع من هذا القرن، مما تسبب في خلق حالة عدم توازن بين قوى التوجيه ومدارس التنوير الحركية داخل مساحات الاجتهاد ومنهجيات التقييم الحالية. فالناظر إلى ساحة التحرك الاسلامي، وخلفية الفكر الدافع لها سيجد أن الكثير من القضايا المتداولة قد تم ترحيلها وتحميلها لعقود الثمانينات والتسعينات بينما هي تنتسب لعقد أو عقود سابقة. وقد تبلورت فيها قناعات وخلصت عنها نتائج مؤداها اجتهادات لتجاوزها وطرح بدائل أكثر تفهماً وتعايشاً للواقع وأشد حرصاً على التعامل معه في اتجاه البناء والاصلاح. إلا أن فكر المحنة واشكالياته لا زال سائداً تتناوله الأقلام وتعيد فيه القول تأكيداً أو ترسيخاً برغم وجود الحاجة إلى نمطية جديدة ورؤية جديدة»[1].

هذا الرأي يكشف بوضوح كبير عن أزمة في مناهج التغيير الاسلامي وجدلية هذه الأزمة بالتجديد الثقافي. واسقاط مفاهيم حقبة الستينات والسبعينات على عقدي الثمانينات والتسعينات. العقدان اللذان شهدا

١ـ مستقبل العمل الاسلامي، الحركة الاسلامية في ظل التحولات الدولية وأزمة الخليج. ندوة، اعداد: أحمد بن يوسف، شيكاغو: المؤسسة المتحدة للدراسات والبحوث، بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الاسلامي بواشنطن، ط١، ١٩٩١، ص ٤٢١.

الحدث الكبير الذي حصل في ايران مع بداية الثمانينات ولأنها ـ أي الحركة الاسلامية ـ لم تتنبأ بهذا الحدث الكبير وحجمه ومساحته وتأثيره على الواقع الاسلامي والدولي، لهذا فإنها لم تبلور وتعد التصورات الفكرية وتنضج المفاهيم النظرية بما يتناسب وتحولات المرحلة، مما جعلها تتعامل مع هذا الحدث الضخم بعاطفة كبيرة وعفوية مبالغة وانشغلت بمكاسب المرحلة والاستجابة السريعة لتفاعلاتها الدراماتيكية. والنشاطات السياسية التي حصلت في ذلك الوقت لم تؤصل وفق الأسس الفكرية بشكل تنسجم وتتكامل والنظام الفكري عند تلك الجماعات والأكثر من هذا أن النظام الفكري عند العديد من الجماعات الاسلامية حصل فيه اهتزاز وارتباك نتيجة ذلك التحول، الأمر الذي دفع ببعض الجماعات إلى تغيرات في مفاهيمها، وكان من مضاعفات هذه الحالة أن نشأت فراغات فكرية ليس لم تسد بكيفية معمقة فحسب، بل ان بعض الجماعات لم تدر هذه النواقص والفراغات، نتيجة استرسالها مع حركة الأحداث الصاخبة التي غطت لفترة معينة على قسم من النواقص والثغرات البنيوية والمنهجية والمفاهيمية.

ومن أخطر هذه الثغرات المنهجية والمفاهيمية، والتي كان لها أكبر الأثر على صعوبة تقدم وتطور الحركة الاسلامية تلك الثغرات المتعلقة. منهج التغيير الاصلاحي والاجتماعي الذي لم يتوافق والظروف المكانية والزمانية عند بعض الجماعات الاسلامية، وعند جماعات أخرى لم يتوافق المنهج في التغيير وحساب الامكانات والطاقات المتوفرة وهكذا هي الاشكاليات في

حـالات أخـرى. واذا كنا نرى بأن حـالة مـن التطور والنضـج حـصـلت في مناهج التغيير الاسلامي بعد أن توفرت لهذه المناهج فرص حيوية وكبيرة في التفاعل المباشر والواسع مع الواقع، وتلاقح هذه المناهج وتنوعها، مع ذلك فـانها مـا زالت بحـاجة إلى مـعـالجات مـعـمقـة تجعلـها أكـثر واقـعـية ومـرونة وموضوعية.

اتجاهات التجديد الثقافي في مناهج التغيير الاسلامي

حـركـات الاصـلاح الاسـلامـي في العـصـر الحـديث هي التي نـهـضت بالتجديد الثقافي في مناهج التغيير الاسلامي، وفي اتجاهات مختلفة حسب نوعية التقويم الذي يتحدد بكل المرحـلة ومتطلباتها في الاصلاح والتجديد. وسـوف نؤرخ لهـذه الاتجـاهات مع انطـلاقـة السيـد جـمـال الدين الأفـغـاني (١٢٥٤ ـ ١٣١٥ هـ، ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م) الانطلاقة التي تعتبر في نظر كثير من المؤرخـين بداية نهـوض الحـركـة الاسـلامـيـة في العـصـر الحـديث. وهذه الاتجاهات التجديدية هي:

١ـ التجديد الثقافي في اتجاه فكر الاصلاح والنهضة

مناهج التغيـير الاسلامي المعاصرة باتجـاهاتها الفكرية والسياسيـة المختلفة تجـد في فكر النهـضة والاصـلاح الاسلامي مـرجـعاً مـهـمـاً في الفكر الحـركي والسيـاسي الاسـلامي. وإلى هذا الوقت وفـكر الاصـلاح يبـعث في العـالم

الاسلامي روح اليقظة والنهوض، ويعبر عن ذلك بوضوح الأستاذ مالك بن نبي بقوله «لقد كان جمال الدين إلى جانب أنه رجل فطرة رجلاً ذا ثقافة فريدة عدت فاتحة عصر الثقافة والعلم في العالم الاسلامي الحديث، ولعل هذه الثقافة هي التي دفعت الشبيبة المثقفة إلى اقتفاء أثره في اسطنبول وفي القاهرة وفي طهران وهي الشبيبة التي سيكون من بينها قادة حركة الاصلاح»[1].

ومن رموز حركة الاصلاح الاسلامي الشيخ «محمد عبده» (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣هـ، ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م) والشيخ «عبد الرحمن الكواكبي» (١٢٧٠ ـ ١٣٢٠هـ، ١٨٥٤ ـ ١٩٠٢م) والشيخ «محمد رشيد رضا» (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥م) والمفاهيم الأساسية التي تبلورت مع حركة الاصلاح الاسلامي وكانت حيوية جداً في ذلك العصر مفهوم الوحدة الاسلامية والجامعة الاسلامية الذي كان رداً قوياً لما كان يخطط له ويمارسه الاستعمار الأوروبي في البلاد الاسلامية من مخططات التجزئة والتفرقة والانقسام الجغرافي والمذهبي واللغوي والعرقي. ومفهوم الحرية ورفض الاستبداد والديكتاتورية وقد تبلور هذا المفهوم بصورة مركزة في كتاب طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد» للكواكبي. ومفهوم الاسلام والحاجات العصرية، وكذلك تحرير العقل المسلم من الخرافات والتقاليد والتقليد وفتح باب الاجتهاد، والدعوة الى التمدن.

١ـ وجهة العالم الاسلامي، مالك بن نبي، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٦، ص٤٩.

٢ـ التجديد الثقافي في اتجاه تجديد فكر الاصلاح الاسلامي

في طور آخر حصل ما يشبه التجديد في فكر الاصلاح الاسلامي وكان امتداداً فكرياً متكاملاً معه. وهذا التجديد تبلور في بعدين أساسيين هما:

أ ـ تعميق وتنضيج فكر الاصلاح والنهضة.

ب ـ اضافة مفاهيم وأفكار جديدة تتكامل والمفاهيم التي بشّرت بها حركة الاصلاح الاسلامي.

وأبرز من مثّل هذا التطور ثلاثة من المفكرين الاسلاميين الاصلاحيين وهم، محمد اقبال، مالك بن نبي، وعلي شريعتي [١٩٣٣ ـ ١٩٧٧]، وقد تأثر هؤلاء الثلاثة في فكرهم ومنهجهم بحركة الاصلاح الاسلامي في تلك المرحلة وبالذات من حركة السيد جمال الدين الأفغاني.

من جهة أخرى إن فكر هؤلاء كان مؤثراً وحاضراً بدرجة كبيرة في مناهج التغيير الاسلامي المعاصر كما كانوا على ارتباط وثيق بمناهج التغيير الاسلامي في بلدانهم. والمفاهيم والقضايا الأساسية التي تبلورت في حركة هؤلاء كتجديد ثقافي في مناهج التغيير الاسلامي مفهوم «الثقافة والحضارة والنهضة»[١] ومفهوم «تجديد التفكير الديني»[٢] و«نقد الحضارة الغربية»[٣].

١ـ «مشكلة الثقافة» و «مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي» و «شروط النهضة» و «وجهة العالم الاسلامي» لمالك بن نبي، و«الانسان والاسلام» لعلي شريعتي، و «هكذا تكلم علي شريعتي» لفاضل رسول.

٢ـ «تجديد التفكير الديني في الاسلام» لمحمد اقبال، و «الامة والامامة» لعلي شريعتي.

٣ـ «الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية في الاقطار الاسلامية» لأبي الحسن الندوي، و «الصراع الفكري في البلاد المستعمرة» لمالك بن نبي.

٣ـ التجديد الثقافي في اتجاه مفاهيم الدعوة والعمل الاسلامي

مع تحول حركة الاصلاح الاسلامي إلى مرحلة العمل الاسلامي المنظم في النصف الأول من القرن الاخير كان مؤشراً على تطور في مناهج التغيير الاسلامي فرضته ظروف الواقع ومتغيراته، فانتقل العمل الاصلاحي إلى مرحلة العمل الجماعي المنظم في اطار الجماعات والحركات الاسلامية. وبذلك فأن التجديد الثقافي تطور بما يتوافق وتحولات الواقع الاسلامي والانتقال في مسار الحركة الاسلامية. وأهم من ساهم بالتجديد الثقافي في هذا الاتجاه الشيخ «حسن البنا» (١٩٠٦ ـ ١٩٤٩) و«أبو الأعلى المودودي» (١٩٠٣ ـ ١٩٧٩) و «سيد قطب» (١٣٢٤ ـ ١٣٨٦ هـ.)

والمفاهيم الأساسية المنتجة كتجديد ثقافي في هذا الاتجاه كانت مفاهيم العمل الاسلامي، والتغيير الاسلامي، والجماعة الاسلامية، وفي اطار هذه المفاهيم كانت هناك مفردات ثقافية حركية كثيرة مثل مفهوم الحاكمية والعدالة الاجتماعية.

كما ان التجديد الثقافي في مفاهيم العمل والتغيير والجماعة كان يتطور بين مرحلة وأخرى، استجابة للمعطيات الجديدة. وإلى هذا الوقت والتجديد في تلك المفاهيم يتلاحق ويتقادم ومن أوساط اسلامية كثيرة لا يسعنا حصرها في هذه الورقة.

ومناهج التغيير الاسلامي المعاصر تكتسب ملامحها وخصائصها

ومكوناتها من تلك المفاهيم التي تتلاحق عطاءً وابداعاً في قضايا العمل الاسلامي، تتعدد مناهج التغيير الاسلامي بتعدد المصادر والمراجع الفكرية التي تنظر للعمل الاسلامي.

٤ـ التجديد الثقافي في اتجاه المشروع السياسي الاسلامي

في تطور نوعي وصل المشروع الاسلامي إلى مستوى ادارة المجتمع والدولة ترتب على ذلك تنزيل القيم والقوانين الاسلامية على الواقع وأسلمة الحياة والدولة بمرافقها المختلفة ـ السياسية والاقتصادية والتربوية والاعلامية والاجتماعية ـ هذا التطور النوعي والكبير أعاد طرح المشروع السياسي الاسلامي باهتمام كبير وظهرت حوله كتابات كثيرة عالجت مفاهيم «الدولة الاسلامية والحكم الاسلامي»[١] و«الحريات والحقوق»[٢] و«العلاقات الدولية»[٣] و«أسلمة القوانين والمجتمع» ... الخ. ودخلت هذه المفاهيم في مناهج التغيير الاسلامي المعاصر واحتلت مكانة مهمة.

٥ـ التجديد الثقافي في اتجاه اسلامية المعرفة واصلاح الفكر الاسلامي

من الاتجاهات المعاصرة والمهمة في مناهج التفكير الاسلامي والتغيير

١ـ «نظام الادارة والحكم في الاسلام» و «في الاجتماع السياسي الاسلامي محاولة تاصيل فقهي تاريخي» للشيخ محمد مهدي شمس الدين، وهناك كتابات كثيرة في هذا الموضوع.

٢ـ «الحريات العامة في الدولة الاسلامية» راشد الغنوشي.

٣ـ «النظرة الاسلامية للعلاقات الدولية اتجاهات جديدة للفكر والمنهجية الاسلامية» للدكتور عبد الحميد أبو سليمان.

الاسلامي، الاتجاه الذي يتبنى قضية اسلامية المعرفة[1] واصلاح الفكر الاسلامي[2] بناء على اعتبار الأزمة الفكرية كجذر أساسي في سقوط الأمة الاسلامية وتخلفها، الأمر الذي يتطلب صياغة مناهج لاصلاح الفكر الاسلامي مع الاهتمام وبأولوية لاسلامية المعرفة في مجال العلوم الاجتماعية والانسانية كحقل معرفي حيوي ومهمل في أدبيات الفكر الاسلامي. ويعبر عن هذا الاتجاه «المعهد العالمي للفكر الاسلامي» بواشنطن الذي يمثل أحد المسارات التجديدية في مناهج التغيير الاسلامي.

أولويات التجديد الثقافي في مناهج التغيير

قاعدة الأولويات من القواعد النسبية والمتغيرة حيث تخضع لطبيعة المرحلة ومكوناتها الذاتية والموضوعية. وبالتالي لنوعية الحاجات والمتطلبات المتغيرة. وبدقة تشخيص المرحلة، تكون الدقة في تحديد الأولويات ... ومن المشكلات الخطيرة في مناهج التغيير الاسلامي والعمل الاسلامي الاختلال الذي يحصل في تراتب هذه الأولويات الاختلال الذي ينعكس على كل تفاصيل وجزئيات المنهج والخطة ومن أولويات التجديد الثقافي في مناهج التغيير الاسلامي:

١ـ «اسلامية المعرفة» الصادر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
٢ـ «اصلاح الفكر الاسلامي» للدكتور طه جابر العلواني.

١ـ بلورة وصياغة البدائل الاسلامية

في العقود الماضية كان الخطاب الاسلامي يبلور البدائل الاسلامية في اطار النظرية لرفع النفي وتأكيد الاثبات ... فأمام نفي الاتجاهات الفكرية الوضعية لوجود نظام اقتصادي في الاسلام كان الخطاب الاسلامي يرد على هذا النفي باثبات أن في الاسلام نظاماً اقتصادياً في اطار النظرية ... وهكذا في نفي نظام الادارة والحكم والدولة في الاسلام ... أما اليوم فالخطاب الاسلامي مطالب بأن يبلور البدائل الاسلامية في اطار التطبيق. بعد أن أصبح المشروع الاسلامي على احتكاك واسع بحركة الواقع. ومطالب بأن يقدم الحلول الناضجة والواقعية لمشكلات صعبة وخطيرة ... ففي الاقتصاد مثلاً ما هو البديل الاسلامي لحل مشكلة البطالة أو التضخم وتوزيع الثروة وحل مشكلة الفقر وتنظيم التجارة الداخلية والخارجية وهكذا في المجالات الأخرى؟

٢ـ تجديد مناهج التغيير الاسلامي

مناهج التغيير تمثل المسارات السلوكية للجماعات وتوجه فعالياتها وطاقاتها، وكلما كانت هذه المناهج متقنة ومحكمة انعكس ذلك على تنظيم وحركة الفعاليات ... والنظرة التقويمية لمناهج التغيير الاسلامي تكشف عن وجود أزمة ومشكلات حقيقية في هذه المناهج، ويعبر عن هذه الأزمة كنقد

ذاتي الأستاذ «راشد الغنوشي» بقوله: «اننا اصبنا بعجز عن فهم واقعنا وعن ادراك سننه وقوانين تطوره الأمر الذي جعل حركتنا تراوح في كثير من الأحيان في مكانها لأنها لم تهتد إلى الطريق الأسلم وبالتالي كانت قدراتها على التخطيط محدودة. وهذا ما أفهمه من التخلف. ولاشك أن مسؤولية الفكر في هذا التخلف مسؤولية عظيمة ومعظم أمراضنا من هذا القبيل»[1].

والناظر بعمق لواقع الجماعات الاسلامية ومساراتها في العمل وما وصلت اليه يدرك واقعية الأزمة في مناهج التغيير الاسلامي، وضرورة نقد وتجديد وتطوير هذه المناهج على قاعدة التجديد الثقافي والفكري.

٣ـ مسألة الحريات والحقوق

الحريات والحقوق من العناوين الكبرى والأساسية في الخطاب العالمي وتفرض نفسها بالحاح على الخطاب الاسلامي، الذي يواجه تساؤلات كثيرة لمعرفة تصوراته ووجهات نظره حول هذه القضايا ... والواقع المر في العالم الاسلامي لاينفك عن طرح هذه القضايا باهتمام كبير. وفي السنوات الأخيرة تنامى الاهتمام بقضايا الحريات والحقوق في مناهج التغيير

١ـ راجع كتاب: «ندوة الحوار القومي الديني» الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية، انعقدت في القاهرة في الفترة ما بين ٢٥ ـ ٢٧ أيلول سبتمبر ١٩٨٩ بتنظيم مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، وانظر أيضاً كتاب: «الحركة الاسلامية رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي» اعداد د. عبد الله النفيسي، وكتاب «تحولات الفكر والثقافة في الحركة الاسلامية» زكي الميلاد وكتاب «في النقد الذاتي ضرورة النقد الذاتي للحركة الاسلامية» خالص جلبي.

الاسلامي وهذه خطوة حسنة بحاجة إلى تدعيم أكبر وتأصيل معرفي معمق ...

٤ـ الاختلاف والعلاقات والحوار

من أهم جوانب النقد في هذا المجال، التمزق الخطير بين الجماعات الاسلامية، الذي يصل في بعض الحالات إلى الصراع بأدوات عنيفة كما حصل في أفغانستان وغيرها ... وفي أغلب الساحات الاسلامية وبشكل سافر نجد ظواهر الخلاف والتمزق والصراع تحكم العلاقات بين الجماعات الاسلامية في مثل هذه الأوضاع الخطيرة والحساسة ... من هنا كانت الحاجة إلى تدعيم الحوار وأدب الاختلاف ومنطق التقارب وقيم التلاقي والتعاون. العناوين التي ينبغي أن تأخذ حضورها الأساسي في الخطاب الاسلامي وفي عملية التجديد الثقافي في مناهج التغيير الاسلامي. يضاف الى ذلك قضية المذهبية في العلاقات بين السنة والشيعة وبالذات بين الجماعات والحركات.

٥ـ الديموقراطية والتعددية والعلاقة بالآخر

ما من حوار وندوة واجتماع وكتاب ودورية إلا ويطرح موضوع الاسلام والديموقراطية، الاسلام والتعددية، وهكذا العلاقة بالآخر. وكل التيارات والجماعات والنخب خارج المرجعية الاسلامية تطالب وبوضوح

كيف يفهم الاسلاميون الديموقراطية؟ واين موقع التعددية في مشروعهم؟ ونمط العلاقة بالآخر؟ مما يؤكد ضرورة بلورة إجابات صريحة وتصورات واقعية من هذه المفاهيم.

والحقيقة أن هذه المفاهيم باتت حاضرة في الخطاب الاسلامي ومناهج التغيير الاسلامي ونذكّر هنا بندوة «التعددية الحزبية والطائفية والعرقية في العالم العربي» التي نظمها «المعهد العالمي للفكر الاسلامي» بواشنطن بالتعاون مع وزارة الأوقاف في الكويت في الفترة ما بين [١٦ ـ ٣٠ نوفمبر ١٩٩٣م] والتي كانت محاولة جادة وواعية لقراءة التعددية من وجهة نظر اسلامية.

٦ـ العلاقة بالغرب

العلاقة بين الاسلام والغرب واحدة من القضايا الشائكة والمعقدة تاريخياً ومعرفياً وحضارياً، وتستقطب الاهتمام بدرجة كبيرة وحساسة في هذا الوقت أكثر من أي وقت مضى، وعلى مستوى متقدم ورفيع في الديار الاسلامية وفي أرفع مستويات المراكز في الغرب ... وبين وقت وآخر تطالعنا الكتب والدوريات والاعلاميات حولها. وقد دخلت عليها عناصر جديدة ومعطيات هامة ترتبط بمستقبل الاسلام في الغرب[1]. كما قد أصبحت هذه القضية واحدة من القضايا الحضارية التي ترتبط بحاضر

١ـ «الاسلام دين المستقبل» لرجاء غارودي. وكتاب «الاسلام كبديل» لمراد هوفمان.

ومستقبل منهج التغيير الاسلامي ... ولا زالت هذه العلاقة بحاجة إلى معالجات معرفية وحضارية في خطاب الفكر الإسلامي ومناهج التغيير الاسلامي.

٧ـ إسلامية المعرفة

أعتقد أن الأطروحة الفكرية التي يتبناها «المعهد العالمي للفكر الاسلامي» في عناوينها الأساسية (إسلامية العلوم الاجتماعية والانسانية، المنهجية الاسلامية، منهجية التعامل مع القرآن الكريم، منهجية التعامل مع السنة النبوية الشريفة، كيف نقرأ ونتعامل مع التراث الاسلامي في فكر المسلمين، كيف نتعامل مع التراث الانساني وبالذات مع التراث الغربي) هذه العناوين تطرح القضايا الفكرية الكبرى في الفكر الاسلامي، والارتقاء بمناهج التغيير الاسلامي نحو الآفاق الحضارية.

هذا هو اجتهادي في تحديد أولويات التجديد الثقافي في مناهج التغيير الاسلامي.

الفصل الخامس

الفكر الإسلامي الجديد: ملامح وقضايا

- ١ -

الأرضيات والشروط الموضوعية

تحددت مراحل الفكر الإسلامي وتحقيباته وتقسيماته الزمنية والتاريخية، حسب اختلاف وتمايز الوضعيات والسياقات والمكونات الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي ارتبط بها في كل مرحلة، وحسب القضايا والظواهر والمفاهيم التي تفاعل معها، والاحتكاكات والتواصلات والانفتاحات التي تداخل معها. هذه الشروط والعناصر هي التي تفرض على المنظومات الفكرية والمذاهب الاجتماعية، محددات وجهتها العامة ومساراتها ومسلكياتها، وتكوينات خطاباتها وبياناتها ومدوناتها. والذين يؤرخون للفكر الإسلامي منذ القرن الثامن عشر الميلادي إنما ينطلقون من القضايا الأكثر حضوراً واشتغالاً، ومن الوضعيات الأشد تأثيراً، ومن البيئات وشروطها واحتكاكاتها، ومن الخطابات وتكويناتها وموضوعاتها. وحسب التقسيم الكلاسيكي السهل الذي لم

ينقض أو يعاد النظر فيه، فإن الفترة التي مر بها الفكر الإسلامي منذ القرن الثامن عشر إلى نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلاديين يؤرخ لها بظهور الدعوات السلفية التي ارتبطت في أكثر قضاياه بأمور العقيدة والدفاع عنها وتنقيتها من الظواهر والمفاهيم والسلوكيات التي تناقض مبدأ التوحيد، كما في رؤية أصحاب هذه الدعوات وأكثر احتكاكات هذه الدعوات كان بالدوله العثمانية. وفي نظر الدكتور «محمد عمارة» ان هذه الدعوات «كانت تعيش في إطار الفكر القديم الذي استقر منذ العصور الوسطى»[1].

ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي إلى نهاية الخلافة العثمانية، هذه الفترة يؤرخ لها بظهور حركات الاصلاح والتجديد الاسلامي التي ارتبطت في أكثر قضاياها بالغرب، تارة في مقاومته كتهديد على البلاد الإسلامية والخلافة العثمانية، وتارة في الاقتباس منه لما يمثل من تجربة في التطور والتقدم على الصعيد العلمي والصناعي. والوصف الذي يطلق على هذه الفترة هو الفكر الإسلامي الحديث، ومن أبرز رجالاته السيد «جمال الدين الأفغاني» [١٢٥٤ ـ ١٣١٥ هـ/ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧ م].

أما الفترة التي جاءت بعد نهاية الخلافة العثمانية في النصف الأول من القرن العشرين، وبعد قيام الدولة العربية الحديثة في النصف الثاني من القرن نفسه، فيطلق عليها الفكر الإسلامي المعاصر. وبرزت في هذه الفترة

١ـ تحديات لها تاريخ. د. محمد عمارة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ط٢، ١٩٨٢م، ص١٧٥.

كتابات [حسن البنا، وعبد القادر عودة، وسيد قطب، ومحمد البهي، ومالك بن نبي، وعلي شريعتي، وأبو الأعلى المودودي، والشيخ مرتضى مطهري، والسيد محمد باقر الصدر، والشيخ محمد الغزالي ...] وارتبطت هذه الكتابات بالواقع الذي جاء بعد نهاية الخلافة العثمانية وتفكك أجزائها واقتسام فرنسا وبريطانيا لتركتها، ودخول العالم الإسلامي تحت الهيمنة والنفوذ الاستعماري الأوروبي، ثم بالواقع الذي جاء بعد قيام الدولة العربية القطرية التي ارتبطت في تشريعاتها وقوانينها وأنظمتها ومؤسساتها بالمرجعية الفكرية الأوروبية بشقيها الليبرالي الغربي والاشتراكي الشرقي. وهذا ما يفسر اهتمام الفكر الإسلامي الواسع والمتشدّد بقضايا الهوية واشكالياتها والدفاع عن المرجعية الإسلامية من خلال شعار «الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان»، في ذلك الظرف.

ومع نهاية حقبة السبعينات اختلفت صورة المرحلة بشكل واضح، وتغيرت الظروف والأوضاع بنمط جذري ومتسارع ودخلت عليها عناصر ومكونات شديدة الفاعلية والتأثير، قلبت معها توازنات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية. ولهذه الطبيعة والخصوصيات فقد خضعت هذه المرحلة للعديد من الدراسات والتحليلات والاستشرافات الشاملة، ولازالت تستقطب أوسع الاهتمامات البحثية على مستوى النطاقات العالمية كافة. وصدرت حولها أكثر الدراسات والمؤلفات تحريضاً على المقاومة والمواجهة والصدام من كل الأطراف المتنازعة داخلياً وخارجياً، بما في ذلك

قضية الإسلام والغرب، والعلاقة بين الحضارات. حيث أظهر الغرب بمراكزه ومعاهده وجامعاته واعلامه السمعي والبصري، اهتماماً هو الأوسع من نوعه في نشاطه البحثي منذ الجمود الذي أصاب حركة الاستشراق، ودفع بالمستشرق الفرنسي «جاك بيرك» لأن يعلن في عام ١٩٧٥ عن نهاية الاستشراق. وحسب الدكتور «رضوان السيد» لم تكن كتابات الغربيين والمستشرقين من بينهم على الخصوص، كثيرة في الإسلام المعاصرحتى السبعينات. وأبرز هذه الكتابات بعد الحرب العالمية الثانية كتابا هاملتون جب: الاتجاهات الحديثة في الاسلام، ولفريد كانتول سميث: الإسلام في العالم المعاصر. وكانت دراسة ميتشل عن الاخوان المسلمين بمصر أبرز ما صدر عنهم حتى اليوم. أما بعد العام ١٩٧٨ م فإن الدراسات والندوات والمؤتمرات عن الإسلام المعاصر، والحركات الإسلامية، والنهوض الإسلامي والثورة الإسلامية، ومستقبل الإسلام، كل ذلك تكاد تستعصي على الحصر[1].

لذلك فإن من الممكن موضوعياً ومنهجياً أن يؤرخ لهذه الفترة في سياق تقسيمات الفكر الإسلامي وتحقيباته الزمنية والتاريخية، فالوضعيات التي ارتبط بها كانت في غاية الاندفاع والتغير، والقضايا والمفاهيم التي تفاعل معها كانت مختلفة ومتحولة، إلى جانب احتكاكات وتواصلات شديدة التشابك والتوتر. حرضت الفكر الإسلامي على اهتمامات ومسارات

١ـ الإسلام المعاصر: نظرات في الحاضر والمستقبل. د. رضوان السيد، بيروت: دار العلوم العربية، ١٩٨٦م، ص ٢١٠.

جديدة وجد نفسه مدفوعاً إليها ومنشغلاً بقضاياها وموضوعاتها، الأمر الذي استدعى أن يستحضر ما عنده من أفكار ومفاهيم وتصورات، ويدخل في مراجعات وتقويمات ونقديات، وينطلق نحو تجديدات وتأصيلات واجتهادات جديدة، ويعيد النظر في منهجياته وآلياته وطرائقه، وذلك بعد أن اكتشف مناطق الفراغ التي كانت تتسع مع مرور الوقت في منظوماته، والانقطاع الطويل عن العصر وتطوراته وعن العلوم وتراكماتها. لذلك فقد أصبح الفكر الاسلامي شديد الوعي بمسائله وقضاياه وموضوعاته، وبمهماته وعلائقه، نتيجة الاقتراب الحي والواسع بالواقع وتعقيداته وتناقضاته وتشابكاته. الاقتراب الذي أيقظ فيه هذا الوعي وحرضه على الاندفاع. لقد كان الفكر الإسلامي في حاجة ماسة لأن يواجه ذاته، ويمتحن أطروحاته، ويجرب تصوراته، وينظر لطرائقه ومنهجياته، فكان من المؤكد ان يزداد قناعة بضرورة التجديد والتطوير والتحديث، والانتقال من المثالية إلى الواقعية، ومن التنظير إلى التجريب، ومن الاطلاقات إلى النسبيات، ومن الاجمالات إلى التفصيلات، ومن التراث إلى المعاصرة، ومن الماضي إلى المستقبل.

هذه التحولات والانتقالات والمآلات ما كان من الممكن أن يلتفت إليها الفكر الإسلامي، أو أن يتقدم نحوها، في ظل ظروف الانكفاء والانقطاع والانكماش، وهي الوضعيات التي كان عليها في العقود الماضية.

وفي عقد الثمانينات برهن الفكر الإسلامي إلى حد كبير على حيوية

ودينامية فائقتين، الظاهرة التي أذهلت وفاجأت الكثيرين نتيجة ما تشكل في أذهانهم من انطباعات مغايرة تصف الفكر الإسلامي بالجمود والنزعة التراثية، والاحتماء بالماضي، والانغلاق عن العصر، وعدم القدرة على مواكبة التقدم والحداثة والحضارة. إلى غير ذلك من أوصاف وعناوين يفترض أنها تراجعت وانحلت. والماركسيون العرب الذين كانوا من أشدّ هؤلاء عنفاً وتعسفاً في إطلاق مثل هذه الأوصاف من سوء حظهم ان زمن انبعاث الإسلام وصعوده في العالم، هو زمن سقوط ايديولوجيتهم الماركسية وانهيار معسكرهم الشيوعي في النطاق العالمي، وكأن القوانين الصارمة والحتميات التاريخية التي وضعتها الماركسية قد انتقمت منها وانقلبت على أصحابها.

فهذه الوضعيات والسياقات، والقضايا والموضوعات، والتحولات والتطورات التي ظهرت في العقدين الأخيرين، هي التي على أساسها نطلق وصف الفكر الإسلامي الجديد ونؤرخ له مع هذه المرحلة. وهذا الوصف مسبوق بالطرح في بعض الكتابات الإسلامية[1]. لكن من دون أن تتحدد إطاراته التفسيرية ووضعياته السياقية، وعلائقه بالمراحل والتقسيمات الزمنية والتاريخية.

ويرى الدكتور «رضوان السيد» «ان الثمانينات شهدت عودة لشيء من

١ـ الفكر الإسلامي المعاصر ... نظرات في مساره وقضاياه، قيس خزعل العزاوي، بيروت: دار الرازي، ١٩٩٢م.

التروي والتوازن في نطاق الفكر الإسلامي في سائر المسائل»[1] وفي نظري ان هذا التروي والتوازن ظهر واضحاً أكثر في التسعينات، لأن الثمانينات والنصف الأول منه بالذات سيطرت على الفكر الإسلامي في وجهته العامة حالة من الحماس والاندفاع الشديدين تجعل من الصعوبة عليه ان يظهر قدراً واضحاً من التروي والتوازن. والأرضيات والسياقات التي تشكل منها الفكر الإسلامي الجديد، من أبرزها مايلي:

أولاً: لقد ارتبط الفكر الإسلامي لأول مرة منذ حركة السيد «جمال الدين الأفغاني» بمشروع دولة أعلنت انحيازها الكامل للمرجعية الإسلامية، وانبثقت إلى الوجود عبر حركة اجتماعية شديدة الفاعلية والنهوض سنة ١٩٧٩م، وفي بلد مثل ايران المعروف بتاريخه الحضاري العريق، وبتراثه الإسلامي الضخم الذي طالما رفد به العلوم الإسلامية والفكر الإسلامي بعطاءات من أمثال «أبو حامد الغزالي» [٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ/ ١٠٥٨ ـ ١١١١م]. ولقد كان لهذا التحول أعظم الأثر على حركة الفكر الإسلامي عموماً، واستنهاض الفكر الاسلامي الشيعي خصوصاً الذي أخذ ينتفض من ركام ورواسب الجمود والركود، وينطلق بزخم واندفاع منتقلاً من العزلة إلى الحضور ومن الجمود إلى الحركة ومن التراث إلى المعاصرة. وبعد عقد كامل من الزمن حصل تحول آخر أضاف للفكر الاسلامي يقظته وانطلاقته

١ـ سياسات الإسلام المعاصر: مراجعات ومتابعات: د. رضوان السيد، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م، ص ٢٥١.

بالتحول الإسلامي الذي حصل في السودان سنة ١٩٨٩م. وبذلك يكون الفكر الاسلامي الجديد قد ارتبط بتجربتين في إدارة الدولة وأسلمة الحياة العامة، في التجربة الأولى ارتكز على الاجتهاد الإسلامي الشيعي، وفي التجربة الثانية ارتكز على الاجتهاد الاسلامي السني. هذا الارتباط فرض على الفكر الإسلامي أوسع الاشتغالات الفكرية والتشريعية والفقهية والدستورية في تاريخه الحديث والمعاصر، وأوسع التطبيقات الجذرية والشاملة على مستوى القوانين والتشريعات والنظم بما يحقق أسلمة الدولة والمجتمع. لاشك ان اشتغالات بهذا المستوى الكمي والكيفي من المهام الفكرية والتشريعية، وهذه السعة من التطبيقات والتجريبات، لابد أن تغير من وضعيات الفكر الإسلامي واتجاهاته العامة وتدفعه نحو تحولات ومسارات جديدة.

ثانياً: الانبعاثات الاسلامية التي أيقظت العالم الإسلامي من سبات طويل، وأعادت له الروح في عصر هيمنت فيه مفاهيم الاستهلاك والقيم المادية التي تمتص كل حوافز النهوض، وتقمع في الانسان الاحساس بالمسؤولية. والانبعاثات الاسلامية الراهنة هي من أكثر الظواهر وضوحاً في العالم العربي والإسلامي، وهي الظاهرة التي أدرك الغرب جديتها وخطورتها كما يتضح ذلك من نشاطه البحثي والفكري الواسع والكبير حول هذه الظاهرة وكأن الاستشراق يعاد إحياؤه من جديد، وهي من الظواهر التي أوصلت المفكر الأمريكي «صامويل هنتنغتون» إلى أن يعلن عن

أكثر المقولات حساسية وخطورة بعد نهاية الحرب الباردة، وهي مقولة «صدام الحضارات».

فالأرضيات التي يقف عليها الفكر الإسلامي الجديد هي التي تشهد هذه الانبعاثات واكتسب منها صحوة ويقظة وطموحاً باتجاه مستقبل حضاري جديد.

ثالثاً: في العقدين الأخيرين نشأت بعض المؤسسات والمعاهد والجامعات التي كان لها دور مهم في تطوير العمل الفكري والبحث العلمي في النطاق الإسلامي، وتجديد الأفكار الاسلامية، واقتحام مجالات معرفية جديدة. وفي مقدمة هذه المؤسسات «المعهد العالمي للفكر الاسلامي» الذي تأسس سنة ١٩٨١م في العاصمة الأمريكية واشنطن، المعروف باسهاماته البارزة والمتقدمة في ميادين الفكر الإسلامي وبالذات في مجال إسلامية المعرفة وإصلاح مناهج الفكر الاسلامي. وعلى مستوى الجامعات تأسست ثلاث جامعات إسلامية مهمة هي «الجامعة الإسلامية العالمية» بماليزيا نشأت في ١٩٨٣م، و«الجامعة الاسلامية» في لبنان سنة ١٩٩٤م، و«جامعة العلوم الاسلامية والاجتماعية» في أمريكا سنة ١٩٩٧م. تحاول هذه الجامعات أن تعالج ازدواجية التعليم بين النظام القديم والنظام الحديث، والقطيعة المعرفية بين العلوم الاسلامية والعلوم الانسانية والاجتماعية، وتشكيل عقلية الانسان المسلم الذي يتواصل مع العصر ولا يتخلى عن هويته.

وقد ساهمت هذه المعاهد والجامعات في تجسير التواصل بين الباحثين

والعلماء والمفكرين الإسلاميين خصوصاً بين الموجودين في العالم العربي والإسلامي، والموجودين في الغرب، كما ساهمت في تراكم الخبرات، وهيأت الأجواء للعمل الفكري والبحثي الجماعي، وانطلقت منها سلسلة متلاحقة من الندوات والمؤتمرات والحلقات الدراسية التي ناقشت قضايا فكرية وثقافية بارزة وأساسية على مستوى الفكر الإسلامي والمعارف الاسلامية، وصدرت عنها مجموعة من الدراسات والأبحاث الهامة والجديدة.

رابعاً: إلى ما قبل الثمانينات كانت مجلة «المسلم المعاصر» التي صدرت أولاً من بيروت سنة ١٩٧٤م، ثم من الكويت، وتصدر حالياً من القاهرة أبرز دورية إسلامية انطلقت من شعار معالجة شؤون الحياة المعاصرة في ضوء الشريعة الاسلامية ومازالت ترفع هذا الشعار إلى هذا الوقت. أما بعد الثمانينات فقد صدرت مجموعة هامة من الدوريات التي تجاوزت وتفوقت فكرياً وعلمياً على مجلة «المسلم المعاصر» التي لا ينكر لها دورها المبكر. وقد كشف صدور هذه الدوريات عن تنامي الادراك واتساعه بأهمية العمل الفكري وضرورة الارتقاء به واعطائه أولوية أساسية، كما سعت هذه الدوريات أيضاً إلى تجديد وتطوير الخطاب الفكري الاسلامي بما يواكب تحولات العصر والقضايا المعاصرة، والعمل على بلورة وصياغة مشروع حضاري إسلامي معاصر.

خامساً: في العقدين الماضيين برز جيل جديد من الباحثين والمفكرين

والاكاديميين الاسلاميين، كان أكثر وعياً وإدراكاً بضرورة التجديد والتطوير في منظومات الأفكار والمفاهيم، وفي مناهج التفكير وطرائق البحث. ومتسلحاً بثقافة معاصرة ومستوعباً لروح العصر من غير انقطاع عن التجربة التاريخية وثوابت وأصالة المرجعية الاسلامية. واستطاع هذه الجيل ان يظهر نشاطاً وحيوية وينهض بالعديد من المشروعات الاسلامية الجديدة والمهمة بكفاءة عالية، وبالذات المشروعات التي كانت غائبة وغير مكتشفة مثل مراكز الدراسات والتخطيط والبحث العلمي واستشراف المستقبل. ويعد بروز هذا الجيل من أهم دعامات النهضة الاسلامية المعاصرة والبناء الحضاري الجديد. ويعطي ثقة بمستقبل واعد.

- ٢ -

الأرضيات والشروط الثقافية

كما يمكننا أن نؤرخ للفكر الاسلامي الجديد من خلال حركة الأفكار والمفاهيم واتجاهاتها وقضاياها، والمستوى الكمي والكيفي من الأعمال والأدبيات المنجزة حولها. ففي العقدين الأخيرين برزت أكثر الدعوات مطالبة بالتجديد والتطوير والتغيير وبالمراجعة والنقد والتقويم على مستوى الأفكار والمفاهيم والنظريات والأطروحات وهكذا على مستوى المنهجيات والآليات والطرائق. وقد عبرت هذه الدعوات عن صحوة معرفية في الفكر الإسلامي توصله بروح العصر وقضايا الحياة المعاصرة.

وهذا ما نرصده ونستكشفه في الدعوات والاعمال والأفكار التي تشتمل مجالات عديدة، منها هذه المجالات:

الفقه وأصوله:

في ١٩٨٠م اصدر الدكتور «حسن الترابي» بحثاً بعنوان «تجديد أصول الفقه الإسلامي»[١] دعا فيه إلى تطوير منهج أصول الفقه بوصله بواقع الحياة، وبفقه حي يجابه التحديات العملية، ويفي بحاجاتنا المعاصرة. وفي ١٩٨٩م اعتبر الامام «الخميني» [١٣٢٢ ـ ١٤٠٩/ ١٩٠٢ ـ ١٩٨٩م] ان الاجتهاد المصطلح عليه اليوم ليس كافياً لادارة الحياة والمجتمع، فدعا إلى الاجتهاد في المسائل الاجتماعية والسياسية والحكومية، بما يؤهل الفقيه لادارة وقيادة المجتمع والحكومة الاسلامية[٢]. كما دعا الشيخ «يوسف القرضاوي» إلى فقه جديد بقوله: «الحق أننا في حاجة إلى فقه جديد نستحق به أن نكون ممن وصفهم الله بأنهم قوم يفقهون»[٣]. كما دعا إلى تجديد الاجتهاد في كتابه «مدخل لدراسة الشريعة الاسلامية»[٤]. وذات الدعوة

١ـ تجديد اصول الفقه الإسلامي. حسن الترابي، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٠م.

٢ـ ريادة الفقه الإسلامي ومتطلبات العصر. الإمام الخميني، بيروت: دار الهادي، ١٩٩٢م.

٣ـ أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة. د. يوسف القرضاوي، القاهرة: مكتبة وهبة، ط،١٩٩٢ ٤م.

٤ـ مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية. د. يوسف القرضاوي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.

أكدها السيد «محمد تقي المدرسي» في كتابه «التشريع الإسلامي أصوله ومناهجه»[1] حيث تساءل «لماذا لم يتطور الفقه؟» واعتبر ان التطوير ضرورة دينية. وفي ١٩٩٤م نشر الدكتور «محمد الدسوقي» رئيس قسم الفقه والأصول بكلية الشريعة والقانون والدراسات الاسلامية بجامعة قطر، بحثاً بعنوان «نحو منهج جديد لدراسة علم أصول الفقه»[2]، وطالب الشيخ «محمد ابراهيم الجناتي» إلى أن يكون الاجتهاد بأسلوب جديد ومعاصر[3]. وفي نظر الشيخ «محمد مهدي شمس الدين» «ان علم الأصول بصيغته السائدة قاصر عن الاستجابة لحاجة الاستنباط الفقهي المتجدد بسبب ما يطرأ من تغيرات على المجتمع في حركته وتفاعله مع المجتمعات الأخرى»[4].

القرآن والتفسير:

حاولت التفاسير الجديدة التي صدرت منذ الثمانينات أن تميز حالها عن التفاسير السابقة عليها بخاصية الاستجابة لمتطلبات العصر وقضايا الحياة المعاصرة. وعياً منها بهذه الحقيقة وبقدرة القرآن الكريم على الاستجابة والمواكبة، والتي هي من حكمته ومقاصده على خلفية ان هذا الكتاب لكل

١ـ التشريع الإسلامي أصوله ومناهجه، السيد محمد تقي المدرسي، طهران: انتشارات المدرسي، ج، ١٤١١ ٢هـ.

٢ـ ورقة مقدمة لمؤتمر: علوم الشريعة في الجامعات: الواقع والطموح، الأردن، نظمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عقد في ٢٣ـ٢٥ آب، أغسطس ١٩٩٤م. انظر: مجلة إسلامية المعرفة، ماليزيا، السنة الأولى، العدد الثالث، يناير ١٩٩٦م.

٣ـ مجلة قضايا اسلامية، العدد الرابع والخامس، ١٩٩٧م، ملف «الاجتهاد والتجديد١ـ٢».

٤ـ المصدر نفسه، العدد الخامس، ص٥٠.

العصور والأزمان، ومع كل عصر جديد تبرز الحاجة لتفسير جديد. وعن هذا التصور يقول الشيخ «مكارم الشيرازي» الذي أشرف على تفسير «الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل» «ان أولى الخصوصيات التي يمتاز بها هذا التفسير هي أنه أعد ليكون شاملاً لمسائل العصر ... والهدف من تاليفه هو مطالعة القرآن وتفسيره بالقياس إلى عصرنا الحاضر، لا أن ننقل أنفسنا عدة قرون إلى الوراء ثم نفسره بالقياس إلى ذلك العصر. فهدفنا أن ننظر للقرآن بعين العصر الحاضر»[1]. وقد خصص هذا التفسير في مقدمته موضوعاً بعنوان «متطلبات العصر» جاء فيه «لكل عصر خصائصه وضروراته ومتطلباته وهي تنطلق من الأوضاع الاجتماعية والفكرية السائدة في ذلك العصر. ولكل عصر مشاكله وملابساته الناتجة عن تغيير المجتمعات والثقافات، وهو تغيير لا ينفك عن مسيرة المجتمع التاريخية والمفكر الفاعل في الحياة الاجتماعية هو ذلك الذي فهم الضرورات والمتطلبات، وأدرك المشاكل والملابسات»[2].

وحسب هذا التصور أيضاً، يقول الدكتور «وهبة الزحيلي» عن تفسيره ـ التفسير المنير ـ «هذا الكتاب اصطفيت فيه من العلوم والمعارف والثقافات المستقاة من معين القرآن الكريم الذي لا ينضب، ما هو لصيق الصلة

١ـ مجلة التوحيد، السنة العاشرة، العدد، ٥٦ يناير ١٩٩١م، ص، ٢٨ حوار مع الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

٢ـ الامثل في تفسير كتاب الله المنزل. إشراف الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، بيروت: مؤسسة البعثة، ١٩٩٢م، ج، ١ ص١٠.

بحاجات العصر. فكان لابد من تقريب ما صار بعيداً، وإيناس ما أصبح غريباً، وتزويد المسلم بزاد من الثقافة بعيدة عن الدخيل كالاسرائيليات في التفسير، ومتفاعلة مع الحياة المعاصرة»[1] وهكذا هو الحال مع بعض التفاسير الاخرى.

الفكر الاسلامي:

الكتابات الاسلامية حول تجديد وتطوير واصلاح الفكر الاسلامي قبل الثمانينات كانت قليلة ومحدودة وغير متواترة، وبعد الثمانينات اتسعت وتراكمت وتواترت. ففي عام ١٩٨٠م أصدر الدكتور «محمد عمارة» كتاب «تجديد الفكر الاسلامي عند محمد عبده ومدرسته»[2]. وفي ١٩٨٥م نشر الدكتور «محسن عبد الحميد» كتاب «تجديد الفكر الاسلامي»[3] دعا فيه إلى عقلانية اسلامية جديدة. وفي ١٩٨٩م أصدر «المعهد العالمي للفكر الاسلامي» كتاب «اصلاح الفكر الاسلامي»[4] عبر فيه عن أطروحته في الاصلاح المنهجي للفكر الاسلامي. وفي ١٩٩١م أصدر مركز دراسات العالم الاسلامي بمالطا كتاب «الاجتهاد والتجديد في الفكر الاسلامي

١ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. د. وهبة الزحيلي، دمشق: دار الفكر، ١٩٩١م، ج١، ص٥.

٢ـ صدر الكتاب ضمن سلسلة كتاب الهلال، القاهرة، العدد، ١٩٨٠ ٣٦٠م.

٣ـ صدر الكتاب في القاهرة: دار الصحوة، ١٩٨٥م.

٤ـ إصلاح الفكر الإسلامي: مدخل إلى نظم خطاب الفكر الإسلامي المعاصر، د. طه جابر العلواني، هيدندن، ط٣، ١٩٩٥م.

المعاصر»[1] لمجموعة من الباحثين. وفي ١٩٩٢م أصدر «جمال سلطان» كتاب «تجديد الفكر الاسلامي»[2] وفي ١٩٩٤م صدر لي كتاب «الفكر الاسلامي بين التأصيل والتجديد»[3] وفي ١٩٩٧ صدر للشيخ «محمد مهدي شمس الدين» كتاب «التجديد في الفكر الاسلامي»[4]. وفي سياق هذه القضايا عقدت بعض الندوات الفكرية، منها: ندوة «تجديد الفكر الاسلامي»[5] المغرب ١٩٨٧م، ندوة «تجديد الفكر الاسلامي»[6] مالطا ١٩٨٩م، ندوة «إشكاليات الفكر الاسلامي المعاصر»[7] ليبيا ١٩٩١م، ندوة «الفكر الاسلامي المعاصر بين البناء والهدم»[8] الكويت ١٩٩٥م، ندوة «التنمية في إطار تجديد الفكر الاسلامي»[9] الكويت ١٩٩٦م.

١ـ شارك في الكتاب: محمد فتحي الدريني، برهان غليون، طارق البشري، منير شفيق.
٢ـ صدر الكتاب في الرياض: دار الوطن، ١٤١٢هـ.
٣ـ صدر في بيروت: دار الصفوة، ١٩٩٤م.
٤ـ صدر في بيروت: دار المناهل، ١٩٩٧م. وصدرت منه طبعة مزيدة ومنقحة عن المؤسسة الدولية للنشر في بيروت، ١٩٩٨م.
٥ـ نظم هذه الندوة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء. عقدت في ٣ـ٤ نيسان/ ابريل ١٩٨٧م.
٦ـ نظم هذه الندوة: مركز دراسات العالم الإسلامي بمالطا، عقدت في ١٥ـ١٨ تشرين الثاني، نوفمبر ١٩٨٩م.
٧ـ نظم هذه الندوة: مركز دراسات العالم الإسلامي بمالطا، عقدت في طرابلس ـ ليبيا، في الفترة ٢٨ـ٣٠ نيسان/ابريل ١٩٩١م.
٨ـ نظمت هذه الندوة الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، عقدت في ٩ـ١١ يناير ١٩٩٥م.
٩ـ نظمت هذه الندوة الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، عقدت في ١١ـ١٣ آذار/ مارس ١٩٩٦م.

الفكر الحركي الاسلامي:

برز واضحاً في الكتابات الاسلامية تأكيدها على التجديد والتطوير والاصلاح في مجالات الفكر الحركي الاسلامي مع دخول الحركات الاسلامية حقبة الثمانينات حيث شهدت أوسع وأخطر الاحتكاكات بالواقع، في ظل أوضاع شديدة السرعة والتغيير، وهي المرحلة التي انتقلت إليها الحركات الاسلامية بعد أن كانت في وضع يختلف عنها بصورة كلية وجذرية، وفي كل أبعادها وملامحها ومكوناتها. ففي ١٩٨١م أعد الدكتور «أحمد كمال أبو المجد» بياناً بعنوان «نحو تيار اسلامي جديد» عرضه للتشاور على مائة وخمسين شخصاً من المثقفين والمفكرين والعلماء الاسلاميين في مصر، ومن ثم صدر في كتاب سنة ١٩٩١م بعنوان «رؤية اسلامية معاصرة: اعلان مبادئ»[١] وفي البند الاول من هذا الاعلان جاء فيه «إن وجود تيار فكري اسلامي جديد، ينير الطريق أمام جماهير المسلمين على امتداد العالم الاسلامي ويعينها على حل مشاكلها المتراكمة بمواقف واجتهادات وحلول تنبع من الرؤية الأساسية التي يمنحها للفرد المسلم إيمانه بالله ورسوله وبمبادئ الاسلام وقيمه العليا وتعاليمه، هذا الوجود قد أصبح ضرورة تشير إليها ظواهر عديدة، كما أصبح التعجيل باعلانه ضرورة أخرى»[٢]. وفي

١ـ صدر الكتاب في القاهرة: دار الشروق، ١٩٩١م.

٢ـ المصدر نفسه. ص١٨.

عام ١٩٨٤ صدر كتاب مشترك للدكتور «حسن الترابي» والاستاذ «راشد الغنوشي» بعنوان «الحركة الاسلامية والتحديث»[١]. وفي ١٩٨٩م أعد الدكتور «عبدالله النفيسي» كتاباً مهماً جمع فيه أربع عشرة ورقة لمفكرين وقياديين اسلاميين حمل عنوان «الحركة الاسلامية رؤية مستقبلية، أوراق في النقد الذاتي»[٢]. وفي ١٩٩٠م أصدر السيد «محمد حسين فضل الله» كتاب «الحركة الاسلامية قضايا وهموم»[٣] دعا فيه إلى ابداع نهج لحركة اسلامية جديدة. وفي ذات العام صدر للسيد «هادي المدرسي» كتاب «رؤى في مسيرة الحركة الاسلامية»[٤]. وفي ١٩٩١م صدر كتاب «مستقبل العمل الاسلامي: الحركة الاسلامية في ظل التحولات الدولية وأزمة الخليج»[٥]. ومما جاء فيه في ورقة الاستاذ «موسى أبو مرزوق» حول هذا الجانب الذي نقصده بالحديث «إن الفكر الاسلامي الحركي في الستينات وأوائل السبعينات قد اتسم بردة فعل أججتها سنوات المحنة والابتلاء، فنضج فكر محنوي لازلنا نعاني منه حتى الآن. لذلك فإن الكثير من معالجات المفكرين وأطروحاتهم الحالية تتجه صوب ذلك الفكر محاولة تغييره أو الدفع في اتجاه تجاوزه، وتبني منطلقات حركية جديدة»[٦]. وفي ١٩٩٣ صدرت

١ـ صدر الكتاب في بيروت: دار الجيل، ١٩٨٤م.
٢ـ صدر الكتاب في الكويت: الناشر المؤلف، ١٩٨٩م.
٣ـ صدر الكتاب في بيروت: دار الملاك، ١٩٩٠م.
٤ـ صدر الكتاب في بيروت: دار المصطفى، ١٩٩٠م.
٥ـ أعمال ندوة نظمتها: المؤسسة المتحدة للدراسات والبحوث بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، عقدت ١٩ـ٢١ حزيران/ يونيو ١٩٩١م.
٦ـ المصدر نفسه، ص٤٢١.

أعمال ندوة: «الفكر الحركي الاسلامي وسبل تجديده»[1] حيث أكد البيان الختامي للندوة «على ضرورة إنجاز دراسات علمية موثوقة لمراجعة الفكر الحركي الاسلامي وتقويمه في مختلف المجالات، خاصة على ضوء المتغيرات الاقليمية والعالمية التي تستدعي من الفكر الاسلامي ان يراجع الكثير من مفاهيمه ووسائل وأساليبه». وفي هذا النطاق أيضاً عقدت ندوة «مناهج التغيير في الفكر الاسلامي المعاصر»[2] الكويت ١٩٩٤م. إلى جانب أعمال أخرى.

هذه بعض المجالات التي تكشف بوضوح كبير عن تحولات الأفكار الاسلامية وتغيراتها، وتأكيدها على التجديد والتطوير، والاستجابة لمتطلبات العصر. والتي بامكانها أن تؤرخ لمرحلة جديدة في مراحل تطور الفكر الاسلامي.

-٣-

ملامح الفكر الاسلامي الجديد

ملامح الفكر الاسلامي الجديد تشكلت من القضايا التي استحوذت على اهتماماته، ومن الوضعيات والسياقات والأرضيات التي تواصل معها وانطلق منها، ومن المراجعات والتقويمات التي نهض بها، ومن المفاهيم

١ـ نظمت هذه الندوة: الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، عقدت في ٨ـ١٠ شباط/ فبراير ١٩٩٣م.

٢ـ نظمت هذه الندوة: الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، عقدت في ٢٤ ـ ٢٦ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٤م.

والأفكار التي كونها وأسس عليها نظراته للتراث والعصر والمستقبل. من هذه الملامح البارزة:

أولاً: العلاقة مع العصر من الانقطاع إلى التواصل:

لم يجرِ على الكتابات الاسلامية خلال القرن الأخير تأكيد وإدراك بالتواصل مع العصر، كالذي نلاحظه على هذه الكتابات في العقدين الأخيرين. فقد تجلت هذه الخاصية في مختلف ميادين وحقول المعارف الاسلامية، بما في ذلك الميادين الأشدّ تأثيراً على الفكر الاسلامي في تكويناتها العقيدية والدينية مثل تفسير القرآن الكريم والفقه وأصول الفقه وعلم الكلام. وهذا من أبرز مظاهر الوعي والإدراك في هذه الكتابات الاسلامية الجديدة التي تحاول اظهار معاصرتها ومواكبتها لروح العصر وجدارتها وكفاءتها على ذلك. وكان للاكاديميين الاسلاميين دور مهم في هذا التطور والتأكيد عليه وفي اقتحامه. فالمسافة التي كانت تفصل الكتابات الاسلامية عن العصر وقضاياه وتحدياته شاسعة وعميقة والاقتراب منه هو الذي كشف عن ذلك، لهذا فأمام الفكر الاسلامي مسار طويل من البناء والانجاز والتقدم، لأن التواصل مع العصر ليست مجرد رغبة أو دعوة وإنما هي فعل متراكم من التطور وتمثل روح التقدم والقدرة على صنع الحضور والاندماج في العالم والمشاركة مع المجتمع الانساني وبناء مستقبلنا المشترك. أما الخشية من العالم والتظاهر بالخوف من التمدن، والتحصن وخلق الحواجز فهذا لا يمكن أن يبني تواصلاً أو يصنع مستقبلاً وينهض بحضارة.

ثانياً: الاندفاع نحو التجديد:

هذه الخاصية شديدة التفاعل والتداخل بالخاصية السابقة، فتنامي الإدراك بروح العصر والانفتاح على قضاياه شكلت أرضيات الاندفاع عند الفكر الاسلامي باتجاه التجديد والتطوير، والذي كان مطلباً ملحاً لتجاوز القطيعة المعرفية مع العصر وليكون فاعلاً في حياتنا المعاصرة. ومن غير التجديد لا يمكن للفكر الاسلامي أن يبني معاصرته ويمارسها كفعل وتأثير وحضور. فالتجديد هو تأهيل وتطوير وانتقال من الجمود إلى الحركة ومن الانغلاق إلى الانفتاح ومن الانقطاع إلى التواصل ومن الانشغال بالماضي والتراث إلى الانشغال بالحاضر والمستقبل. وبامكان الفكر الاسلامي أن يظهر قدرة فائقة على التجديد والتطوير لو أحسن الاستفادة بطرائقه ونظمه وقواعده الاجتهادية والمنهاجية والأصولية بصورة فعالة ومتجددة. فالاندفاع نحو التجديد ظاهرة لها تجلياتها الشاخصة على الكتابات الاسلامية الجديدة، وقد خفت كثيراً الأصوات المعارضة لهذه المسارات بعد ان فقدت جزءاً كبيراً من فاعليتها، وتحول بعضها نحو الانتساب لهذا المسار التجديدي. ولقد أوضحت سابقاً ما يبرهن على هذا الاندفاع في كتابات الفكر الاسلامي الجديد.

ثالثاً: المراجعة والنقد:

كل تفكير بالمعاصرة والتجديد يستتبع معه التفكير بالمراجعة والنقد. ولقد ظهر واضحاً في العقدين الأخيرين هذا الاتجاه في الفكر الاسلامي الذي وجد من الضروري أن يمارس المراجعة والنقد والتقويم في نطاق الأفكار والمفاهيم والاجتهادات التي يتجدد الفهم حولها، وتتطور طرائق النظر لها، وتتغير الأرضيات التي تقف عليها، كما تتبدل قيمتها من حيث التراتب والأهمية والأولوية. ولم تعد هذه المهمة كما كان يحصل في السابق تقابل بقاعدة سد الذريعة، أو بقاعدة دفع المفسدة مقدم على جلب المنفعة، أو بالنزعة الاستصحابية كما يصفها السيد «محمد باقر الصدر» [١٣٥٣ ـ ١٤٠٠ هـ/ ١٩٣٥ ـ ١٩٨٠م] فيقيننا بالأحوال السابقة أفضل ومقدم على شكنا بالأحوال اللاحقة. إلى غير ذلك من الهواجس والتخوفات التي انخفض ثقلها وهبط ضغطها المبالغ به. والتغير الذي بعث قدراً من الاطمئنان ان هذه المراجعات والتقويمات لم تصدر هذه المرة كما حصل في الحالات السابقة من أشخاص أو جماعات متحاملة أو متصادمة مع المنظومة الاسلامية والتي يحوم الشك حولها، فقد صدرت من علماء ومفكرين وباحثين من داخل المرجعية الاسلامية وبدافع الحرص والحماية لها. مع ذلك لم يسلم البعض من التجريحات حتى في هذه الحالات، كالذي حصل مع الشيخ «محمد الغزالي» في كتابه «السنة النبوية بين أهل

الفقه وأهل الحديث»[1] لأنه انتصر لطائفة على حساب طائفة أخرى فكان ذلك دافعاً عند البعض للتجريح به. والنقد حسب المنطق العلمي وأخلاقيات الفكر لا يقابل بالتجريح مطلقاً. ومن الكتابات الاسلامية التي تبرز في مجال المراجعات والنقد منها كتاب «أزمة العقل المسلم»[2] للدكتور «عبد الحميد أبو سليمان»، «تراثنا الفكري بين ميزان الشرع وميزان العقل»[3] للشيخ «محمد الغزالي»، «أزمة الوعي الديني»[4] لـ «فهمي هويدي»، «في النقد الذاتي: ضرورة النقد الذاتي للحركة الاسلامية»[5] للدكتور «خالص جلبي»، «الصحوة الاسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم»[6] للشيخ «يوسف القرضاوي»، «الحركة الاسلامية ثغرات في الطريق»[7] للدكتور «عبد الله النفيسي»، «مراجعات في الفكر والدعوة والحركة»[8] «عمر عبيد حسنة» ... إلى غير ذلك.

ولا شك ان هذه المراجعات والتقويمات هي من مؤشرات الصحوة المعرفية في الفكر الاسلامي، وجاءت لكي تلبي حاجات هذا الفكر في سعيه للتجديد والتطوير والمعاصرة.

١ـ صدرت الطبعة الأولى من الكتاب: يناير ١٩٨٩م، القاهرة: دار الشروق، ومن يناير ١٩٨٩م إلى مايو ١٩٩٠ صدرت من الكتاب ثمان طبعات.
٢ـ صدر الكتاب عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، ط٣، ١٩٩٤م.
٣ـ صدر الكتاب عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، ط٢، ١٩٩١م.
٤ـ صدر الكتاب في صنعاء: دار الحكمة، ١٩٨٨م.
٥ـ صدر الكتاب في بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.
٦ـ صدر الكتاب في بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩١م.
٧ـ صدر الكتاب في الكويت: الناشر المؤلف.
٨ـ صدر الكتاب عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٩٩٤م.

رابعاً: التفكير بالمستقبل:

المستقبل في الكتابات الاسلامية قبل الثمانينات كان غائباً وغامضاً ومبهماً، ولم تكن هناك أرضيات تولد بواعث التفكير به. وبعد الثمانينات اختلفت الصورة وعاد التفكير في الكتابات الاسلامية بالمستقبل مع زمن النهوض والانطلاق لأن التفكير بالمستقبل هو تفكير بالنهوض والانطلاق ولا تتشكل بواعثه وأرضياته في زمن التراجع والجمود. ونلمس هذا الاهتمام بالمستقبل من خلال ظاهرة بالامكان القياس عليها، وهي الظاهرة التي عبر عنها كتاب «أسس التقدم عند مفكري الاسلام»[1] للدكتور «فهمي جدعان» بين طبعته الأولى سنة ١٩٧٩م، وطبعته الثالثة سنة ١٩٨٨م حيث أضاف إليها فصلاً جديداً بعنوان «الإسلام والمستقبل». ولعل كتاب المفكر الفرنسي المسلم «روجيه غارودي» الذي صدر سنة ١٩٨٢م بعنوان «الاسلام دين المستقبل»[2] أسبق المؤلفات التي فتحت الحديث عن قضية الاسلام والمستقبل. وفي ١٩٨٣م نشر الدكتور «أحمد كمال أبو المجد» مقالات في مجلة «العربي» الكويتية، دعا فيها المسلمين لاقتحام المستقبل[3]. وفي ١٩٨٧م صدر كتاب «آفاق المستقبل في العالم الاسلامي»[4] للدكتور

١ـ صدر الكتاب في الاردن: دار الشروق، ١٩٧٩م.
٢ـ صدر الكتاب في بيروت: دار الإيمان، ترجمة: عبد المجيد بارودي، ١٩٨٣م.
٣ـ حوار لامواجهة، د. أحمد كمال أبو المجد، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٨م.
٤ـ صدر الكتاب في بيروت: دار المنهل، ١٩٨٧م.

«محسن الموسوي». وفي ١٩٨٩م نشر الدكتور «عبد الله النفيسي» كتاب «الحركة الاسلامية رؤية مستقبلية» إلى جانب كتابات أخرى. أما في نطاق الندوات فلم يتم التطرق للمستقبل إلا مع بداية التسعينات. ففي سنة ١٩٩٠م عقدت بالجزائر ندوة «قضايا المستقبل الاسلامي»[١]، وفي ١٩٩١م عقدت بالقاهرة ندوة «العالم الاسلامي والمستقبل»[٢]، وفي ذات العام عقدت بواشنطن ندوة «مستقبل العمل الاسلامي: الحركة الاسلامية في ظل التحولات الدولية وأزمة الخليج»، وفي ١٩٩٢م عقدت بالكويت ندوة «مستجدات الفكر الاسلامي والمستقبل»[٣]. وفي نطاق الدوريات صدرت مجلتان عبرت عن هذه الظاهرة، وهما: مجلة «المستقبل الاسلامي»[٤] صدرت من لندن سنة ١٩٩١م، ومجلة «مستقبل العالم الاسلامي»[٥] صدرت من مالطا في ذات العام. وبينما هدفت الأولى إلى بلورة خطاب اسلامي مستقبلي، هدفت الثانية إلى دراسة قضايا العالم الاسلامي بمنظور يتوخى استشراف المستقبل.

١ـ نظم هذه الندوة: مركز دراسات المستقبل الإسلامي بلندن بالتعاون مع المعهد الوطني للدراسات الاستراتيجية الشاملة بالجزائر، عقدت في ٤ـ٧ أيار/ مايو ١٩٩٠م.

٢ـ نظم هذه الندوة: مركز دراسات العالم الإسلامي بمالطا، بمشاركة مركز البحوث والدراسات السياسية بكلية الاقتصاد بجامعة القاهرة، عقدت في ١٣ـ١٥ أكتوبر ١٩٩١م.

٣ـ نظم هذه الندوة الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، عقدت في ٣ـ٦ شباط/ فبراير ١٩٩٢م.

٤ـ صدرت المجلة عن مركز دراسات المستقبل الإسلامي بلندن.

٥ـ صدرت المجلة عن مركز دراسات العالم الإسلامي بمالطا.

والتفكير بالمستقبل في الفكر الاسلامي الجديد انما يعبر عن ضرورة الانتقال والتحول من الانغلاق على الماضي، والانشغال بالتراث، والنظر إلى الوراء دائماً، إلى الانتفاح على العصر والتواصل مع العالم والنظر إلى المستقبل واستشراف آفاقه وتحدياته.

خامساً: الوسطية والاعتدال:

يحاول الفكر الاسلامي الجديد أن يبرز خاصية الوسطية والاعتدال، ويميز نهجه بها، ويفرز على أساسها خطابه عن الخطابات الاسلامية الأخرى، بعد التنامي الذي شهدته الساحة الاسلامية في العقدين الأخيرين لنزعات العنف والتطرف والغلو والتكفير، ويقدم أطروحته كبديل عن هذه النزعات ومتمدناً عليها ومتجاوزاً لذهنيتها وتكوينها الفكري ونشاطها السلوكي، فهو يؤمن بالحوار بديلاً عن الصدام، وبالانفتاح بديلاً عن الانغلاق والتواصل بديلاً عن القطيعة، والتدرج بديلاً عن الفورية، وبالشراكة بديلاً عن الانفراد. ولقد جاء مفهوم الوسطية الذي يتفرع عنه مفهوم الاعتدال من قوله تعالى **﴿وكذلك جعلناكم أمّة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾**[1] فالوسطية ينبغي أن تكون نهجاً لأمّة وليس لأفراد فحسب، وهي خاصية الأمّة القائدة أو الشاهدة على الناس. فلا يمكن استيعاب الناس وكسب رضاهم بالتطرف أو القوة

١ـ سورة البقرة، آية ١٤٣.

والشدّة. والوسطية هي أنضج محاولات الفهم لحركة الواقع ومنهجية التعامل معه في سننه وقوانينه، وهي أيضاً من أبرز مظاهر الرشد وتكويناته.

هذه لعلها من أهم ملامح الفكر الاسلامي الجديد.

- ٤ -

قضايا الفكر الاسلامي الجديد

اختلفت القضايا التي ارتبط بها الفكر الاسلامي وتعددت في كل مراحله وتحقيباته الزمنية والتاريخية، تبعاً لخصوصيات كل مرحلة وشروطها ومقتضياتها. وتتحدد هذه القضايا وفق معيار التراكم الكمي والتطور الكيفي وسعة التفاعل والاشتغال بها، وبمقدار ما تعبر عنه هذه القضايا من قيمة معرفية وفاعلية في الشأن العام، وما تأخذه من أولوية في التراتب القيمي.

ومن القضايا التي نؤرخ لها في نطاق الفكر الاسلامي الجديد، منها:

أولاً: قضايا حقوق الانسان والحريات العامة

لقد ظهر تواتر الكتابات الاسلامية حول قضايا حقوق الانسان والحريات العامة مع بداية الثمانينات، وقبل هذه الفترة كانت هناك كتابات يرجع بعضها إلى سنة ١٩٥٧م، كالكتاب الذي أصدره «علي عبد الواحد

وافي» «حقوق الانسان في الاسلام»[1]. ويرى الدكتور «رضوان السيد» ان التأسيس الاسلامي لحقوق الانسان قد بدأ في أواخر الأربعينات مع العودة لاستخدام المقولة القرآنية حول الاستخلاف الإلهي للانسان على الأرض، في مواجهة مقولة «القانون الطبيعي» التي تأسس عليها الاعلان العالمي، وأول من استخدمها حسب نظره هو الاستاذ «عبد القادرة عودة» في كتابه «الإسلام وأوضاعنا السياسية»[2]. لكن من دون أن يكون بين هذه الكتابات تعاقب وتواتر. ولقد جاء صدور «البيان الاسلامي العالمي لحقوق الانسان» الذي تدارسه خمسون مفكراً وشخصية اسلامية برعاية المجلس الاسلامي الأوروبي بلندن، وأعلن عنه في ١٩٨١م من مقر منظمة اليونيسكو في باريس، الحدث الأهم في هذا المجال حيث كشف عن بداية اهتمام بقضايا حقوق الانسان في النطاق الاسلامي. وهذا ما توصل إليه أيضاً «حسنين توفيق ابراهيم» في دراسته المسحية التوصيفية حول «حقوق الانسان في الكتب والرسائل الجامعية وبعض الدوريات العربية مع التركيز على مصر»[3]. فقد توصل إلى أن هناك زيادة نسبية في عدد الكتب التي تحدثت عن حقوق الإنسان في الاسلام مقارنة بكتابات الاتجاهات الأخرى. ولقد اجتمعت أمام الفكر الاسلامي بواعث عديدة دفعت به نحو الاهتمام المتزايد بهذه القضايا، بعضها يرتبط ببواعث سياسية، وأخرى ببواعث

١ـ صدر الكتاب في القاهرة: دار النهضة، ١٩٥٧م.

٢ـ صدر الكتاب في القاهرة: الإسلام وأوضاعنا السياسية.

٣ـ مجلة منبر الحوار، بيروت، السنة الثالثة، العدد التاسع، ربيع ١٩٨٨م/ ١٤٠٨هـ.

فكرية ومعرفية، بالاضافة إلى البواعث القانونية والحقوقية. وجميع الندوات والمؤتمرات التي عالجت قضايا حقوق الانسان في الاسلام عقدت بعد الثمانينات[1]. وقد انجز الفكر الاسلامي الجديد تراكماً معرفياً مهماً في هذا الحقل خلال العقدين الأخيرين.

ثانياً: قضايا السلطة والدولة والفقه السياسي

تحولات في غاية الأهمية شهدها الفكر الإسلامي حول قضايا السلطة والدولة والفقه السياسي بعد الثمانينات مع انبثاق دولة إسلامية في إيران ... وقبل هذه الفترة كانت الكتابات الإسلامية في تلك القضايا محدودة الأهمية وقليلة الجدوى تنعدم فيها الاجتهادات الفقهية والسياسية الجديدة وتسيطر عليها أدبيات الأحكام السلطانية والموروث السياسى والفقهي القديم.

والتطور البارز والمهم في هذا المجال كان على صعيد الفكر الإسلامي الشيعي بالدولة التي ارتبط بها في إيران مع بداية الثمانينات. ومن المعروف أن الفكر الشيعي تجاربه قليلة في علاقته بالدولة والسلطة خلال التاريخ الإسلامي الحديث والمعاصر، والتجربة القائمة اليوم في إيران هي أبرز وأهم هذه التجارب التي يرتبط بها الفكر الشيعي حيث فتحت أمامه امكانات

١ـ مجلة الكلمة بيروت، السنة الخامسة، العدد٢٠، صيف ١٩٩٨م/ ١٤١٩هـ، حقوق الإنسان في الإسلام: قائمة ببليوغرافية منتقاة، محمد دكير.

واسعة وكبيرة باتجاه التجديد والتطوير والابتكار في قضايا السلطة والدولة والحكم والمؤسسات السياسية وفي الفكر السياسي والنقد السياسي. بعد أن كانت هذه القضايا تصنف على مناطق الفراغ في منظومة الفكر الإسلامي أصبحت اليوم تشهد تراكمات مهمة جعلت من الفكر السياسي والفقه السياسي الإسلامي المعاصر متمايزاً بصورة واضحة وكبيرة عن السابق مع وجود واقع موضوعي وتطبيقي تختبر فيه الأفكار والنظريات والأطروحات السياسية والفقهية والقانونية والدستورية وتتزود بخبرات وتجارب. وموضوع الدولة وشؤونها وقضاياها وعلائقها، الذي أخرج وأقصي من الدراسات الفقهية لقرون طويلة، يعود اليوم لهذه الدراسات وفي أعلى مراحلها العلمية والتي تعرف في نظم التعليم الديني الشيعي ببحث الخارج الذي يعادل مرحلة الدراسات العليا في نظم الجامعات. ويعتبر الشيخ «حسين المنتظري» أبرز من بحث موضوع الدولة الإسلامية في دراسات بحث الخارج بعد الثورة في إيران وصدرت له منها بعض المجلدات بعنوان «فقه الدولة الإسلامية»[1] ومازال هذا الحقل يشهد تطورات وتراكمات في أبعاده الفقهية والتشريعية والدستورية والسياسية والحقوقية.

ثالثاً: إسلامية المعرفة

لعل هذا الحقل من أكثر ما يميز الفكر الإسلامي الجديد، ومن أهم ما يعززله هذه الخاصية. فهو من الحقول المعرفية الجديدة التي استطاع الفكر

١ـ صدر الكتاب في بيروت: الدار الإسلامية.

الإسلامي إن يقتحمه بكفاءة عالية، حينما نهض لهذه المهمة «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» الذي جعل من إسلامية المعرفة قضيته الفكرية والمنهجية الأساسية. وأنجز حولها دراسات وأبحاثاً في غاية الأهمية من حيث الكفاءة العلمية والمنهجية، وهي الدراسات الأبرز في هذا الحقل وعززت معها الثقة بإمكانية التقدم الكبير بهذا الحقل الذي برعت فيه الثقافات الأوروبية وحاولت أن تضفي عليه الصفة الإنسانية والمحتوى العالمي.

وإسلامية المعرفة في التصور المنهجي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي تتحدد في أمرين أساسيين، **الأول**: التأسيس والتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية والإنسانية. **الثاني**: إصلاح مناهج الفكر الإسلامي. وحسب هذا التصور فإن إسلامية المعرفة تعني «منهجية إسلامية قويمة شاملة تلتزم توجيه الوحي ولاتعطل دور العقل، بل تتمثل مقاصد الوحي وقيمه وغاياته وتدرس وتدرك وتتمثل موضوع اهتمام الوحي وإرشاده وهو الفرد والمجتمع الإنساني والبناء والإعمار الحضاري ... وتفي وتتمثل بالضرورة القدرات والإنجازات العلمية والحضارية الصحيحة كافة، تلك التي توارثتها البشرية وأنتجتها بعد أن تمحصها وتزنها بميزات الإسلام وشمولية قيمه وتوجيهه وغاياته»[1]. ولهذه المهمة أيضاً صدرت سنة ١٩٩٥م مجلة المعهد الدورية «إسلامية المعرفة» وقبلها ومازالت كانت مجلة «المسلم المعاصر» تنهض بهذا الدور. مع ذلك لم تسلم هذه القضية من نقد واعتراض فقد قوبلت حسب

١ـ إسلامية المعرفة. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، امريكا، ١٩٨٦م، ص١٦٦.

الدكتور «طه جابر العلواني» «باستنكار شديد يصل أحياناً إلى الاستهجان والاستهانة، أو يعامل بغفلة تامة تتناسى وجوده رغبة في إدخاله دهاليز التآكل والنسيان، إما لجهل بمحتواه، أو ضعف عن إدراك مضمونه، أو عمى عن أهدافه وغاياته، أو تجاهل لأثره وفعله، أو تربص بأصواته ومنابره، أو مكر به وبالمستجيبين له»[1].

ومن أكثر خطوات المعهد تدعيماً لخطاب «إسلامية المعرفة» هو برمجتها في نظم وهيكلة التعليم العالي عبر بعض الجامعات التي ساهم في تأسيسها والإشراف عليها بعض رجالات المعهد مثل الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. والأكاديميون المسلمون هم الذين نهضوا بهذا الحقل وعزز من موقعهم الفكري وكشف عن قيمة عطائهم العلمي وما يمكن أن يقدموه للفكر الإسلامي والمعرفة الإسلامية.

رابعاً: قضايا الاجتهاد في الفقه والتجديد في الثقافة

علاقة الفكر الإسلامي بالدولة وأسلمة الحياة، والاقتراب من الواقع، والتواصل مع العصر، والانفتاح على العلوم والثقافات الاجتماعية والإنسانية، وبروز قضايا من قبيل تطبيق الشريعة وحاكمية الدين، مفاهيم من نوع الاجتهاد والحياة والدين والعصر، والأصالة والمعاصرة، التراث والحداثة، الثوابت والمتغيرات، علاقة الاجتهاد والفقه بالزمان والمكان.

١ـ إصلاح الفكر الإسلامي. مصدر سابق، ص١٢.

هذه الأفكار والأرضيات حرضت باندفاع على تطوير الاجتهاد في الفقه والتجديد في الثقافة، بعد أن كانت هذه الدعوات تقابل بصدود وتشكيك، أصبحت فيما بعد مطالب ملحة لاتصمد أمامها الاعتراضات التي تراجعت وخفتت حدتها. والفقه كان بحاجة ملحة لأن يعيد صلته بالحياة ليس في نطاق أحكام الفرد والأحوال الشخصية فحسب، وإنما في نطاق أحكام المجتمع وقضايا الدولة، وهذا هو الغرض من تجديد الاجتهاد. فالفقه يمثل في الحضارة الإسلامية أحد أهم المنجزات العلمية المذهلة مع ذلك لم يستثمر معرفياً وعلى مستوى العلوم كافة بسبب انقطاع هذا الحقل عن قضايا الحياة والعصر، وجموده على موضوعات قديمة، والأدب القديم الذي دوّن به. كما أن الثقافة فقدت فاعليتها التربوية والاجتماعية والحضارية بسبب الأمية المستشرية والتعليم غير الفاعل ومحدودية الوعي بقيمة الثقافة.

خامساً: قضايا المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر

من المقولات التي ترددت مع الفكر الإسلامي الجديد مقولة «المشروع الحضاري الإسلامي» التي تزايد الحديث حولها على نطاق واسع، بعد أن كانت من المقولات الغائبة واللامفكر فيها في الفترات السابقة، نتيجة الغياب الذي كان عليه الفكر الإسلامي عن قضايا العصر، وهي القضايا التي جاءت مقولة المشروع الحضاري لكي تعبر عنها، وعن حضور الأفكار الإسلامية وفاعليتها المتجددة مع ذلك مازال يكتنف هذه المقولة بعض

جوانب الغموض الذي يجعلها تؤول إلى أكثر من معنى، ولايفسر ما يراد منها بشكل واضح ومحدد. وهذا هو حال المقولات والأفكار في بدايات ظهورها وتداولها حيث لا يظهر منها إلا تلك الجوانب العمومية والإطلاقية وبصورة مجملة تضفي عليها قدراً من الغموض والإبهام، إلى أن تختبر وتجرب، حتى تتبلور ملامحها وتتحدد مكوناتها التفصيلية والأساسية. فبعد مقولة «الحل الإسلامي» التي طرحت في الأدبيات الإسلامية بعد نكسة حزيران ١٩٦٧م، جاءت مقولة «المشروع الحضاري الإسلامي» بعد قيام مشروع الدولة الإسلامية فالمقولة الثانية هي من تأسيسات المقولة الأولى وتطوير لها ومتعاقبة بعدها. فالمشروع الحضاري هو بلورة لتفصيلات مناهج الحل الإسلامي وتقديم الإسلام كمرجعية بديلة في بناء المجتمع والدولة عن المرجعيات الأخرى الليبرالية العلمانية والاشتراكية الماركسية اللتين تبنتهما الدولة العربية الحديثة. وبهذا التصور طرح الإسلام في النطاق العالمي باعتباره أحد الخيارات الحضارية الذي بإمكانه أن يساهم بتصورات واجتهادات في مواجهة التحديات الحضارية والمشكلات الكبرى عالمياً.

هذه لعلها من أبرز قضايا الفكر الإسلامي الجديد وتتفرع منها قضايا أخرى تفصيلاً عليها ومتأثرة بها.

كلمة أخيرة:

إن الفكر الإسلامي الجديد ما هو إلا أحد المسارات الفكرية وليس المسار الوحيد، لكنه الأكثر تطوراً ونضجاً وتأكيداً على قيم التجديد والانفتاح والتواصل مع العصر. فالفكر الإسلامي في كل مراحله وتطوراته التاريخية والزمنية لم يكن متقولباً في مسار وخطاب واحد، بل كان متعدداً ومختلفاً ومتصادماً أحياناً على النمط الذي يحدث بين التقليديين والإصلاحيين. قد يبرز في كل مرحلة زمنية اتجاه معين ويكون الأكثر حضوراً وهيمنة، لكنه قد يتراجع في مراحل أخرى، ويتقدم عليه اتجاه آخر وهكذا هي حركة التاريخ، والبقاء لقاعدة التنوع والتعدد والاختلاف. والشاهد من ذلك أن وصف الجديد لايصدق على كل مسارات واتجاهات وخطابات الفكر الإسلامي. والإشكالية أن المسار الذي يصدق عليه وصف الجديد لايتوجه إليه الاهتمام بصورة كبيرة في شبكات الاعلام العربية والغربية حيث لاتجد فيه الإثارة التي تفتش عنها وتتقوم بها، لهذا فإن التضخيم الاعلامي يتوجه لجماعات العنف بالشكل الذي يفهم كما لو أنها الاتجاه المسيطر على الفكر الإسلامي والحال غير ذلك.

من جهة أخرى أن وصف الفكر الإسلامي بالجديد ليس وصفاً نهائياً، بل لأنه الوصف الممكن والأكثر تعبيراً عن توجهات الفكر الإسلامي في هذه المرحلة، فقد يتغير في ظروف أخرى، لأن ما هو جديد في هذا الوقت

لايبقى جديداً في أوقات أخرى. كما أن وصف الجديد إنما يعبر عن مرحلة جديدة يحاول الفكرالإسلامي أن يقتحمها ويخوض غمارها ومعتركها، فهل نجح فعلاً أم لا؟ وهل هو يتقدم نحوها أم لا؟ وهل أنجز من التطور والتقدم ما يؤهله لذلك أم لا؟ فالذي نستطيع قوله أن الفكر الإسلامي وضع نفسه على طريق الصواب والتحدي الذي ينتظره في قدرته على أن يقطع هذا الطريق إلى نهايته.

مع ذلك فنحن نراهن على مستقبل الفكر الإسلامي الجديد وفي قدرته على صنع وابتكار مستقبل الأمّة. وهو الفكر الذي بحاجة لأن يصل لكل شرائح الأمّة وفئاتها، ويحافظ على فاعليته وتجدده، وانفتاحه على كل البيئات والعطاءات والمنظومات الإسلامية، وتواصله مع العصر، من غير الانقطاع عن تجربته التاريخية.

المحتويات

مقدمة المحرر ٥

الفصل الأول: تطور الفكر الإسلامي الحديث ٩

الفصل الثاني: تطورات الفكر الإسلامي ومساراته المعاصرة ٣٥

منظومات الافكار العالمية: تحولات ومراجعات ٣٧

اشتغالات الفكر الإسلامي المعاصر ٤٦

الغرب وإحياء الاستشراق من جديد ٤٩

تطورات الفكر الإسلامي المعاصر: المناهج والنظم ٥٦

اولاً: نهوض الفكر الإسلامي الشيعي ٥٨

ثانياً: تجديد الفكر الإسلامي والانتقال به نحو مرحلة جديدة ٦٠

ثالثاً: الارتقاء بالعمل الفكري الإسلامي ٦٣

رابعاً: نقد ومراجعات ٦٤

خامساً: البحث عن المعاصرة ٦٩

تطورات الفكر الإسلامي: الافكار والمفاهيم ٧٠
اولاً: تجديد وتطوير الفكر الحركي ٧٢
ثانياً: الحريات العامة وحقوق الإنسان ٧٤
ثالثاً: قضايا الحكم والدولة في الإسلام ٧٧
رابعاً: إسلامية المعرفة ٨٠
خامساً: المشروع الحضاري ٨٢
الفكر الإسلامي: تحديات ومعوقات ٨٧

الفصل الثالث: الفكر الحركي الاسلامي تحولات في المسار ومراجعات في المنهج ٨٧
تحليل مشكلات الفكر الحركي ٩٠
تحولات الفكر الحركي الاسلامي ٩٥
تجديد الفكر الاسلامي الحركي ٩٧
تطور التراكم المعرفي في الفكر الحركي ١٠٣
من نقد الآخر إلى نقد الذات ١٠٥
من النخبوية إلى الجماهيرية ١٠٧
من السرية إلى العلنية ١٠٧

الفصل الرابع: التجديد الثقافي في مناهج التغيير الإسلامي المعاصر ١٠٩
ماذا نعني بالتجديد الثقافي؟ ١١٢
لماذا التجديد الثقافي؟ ١١٤
أولاً: نحو قفزة فكرية ١١٤
ثانياً: اختلاف المرحلة ١١٤
ثالثاً: صياغة البديل ١١٥

رابعاً: الأفكار قوة ١١٦
خامساً: الثقافة والتطور الشامل ١١٦
سادساً: استيعاب التحولات العالمية ١١٧
التجديد الثقافي ومناهج التغيير ١١٨
اتجاهات التجديد الثقافي في مناهج التغيير الاسلامي ١٢١
١ـ التجديد الثقافي في اتجاه فكر الاصلاح والنهضة ١٢١
٢ـ التجديد الثقافي في اتجاه تجديد فكرالاصلاح الاسلامي ١٢٣
٣ـ التجديد الثقافي في اتجاه مفاهيم الدعوة والعمل الاسلامي ١٢٤
٤ـ التجديد الثقافي في اتجاه المشروع السياسي الاسلامي ١٢٥
٥ـ التجديد الثقافي في اتجاه اسلامية المعرفة واصلاح الفكر الاسلامي .. ١٢٥
أولويات التجديد الثقافي في مناهج التغيير ١٢٦
١ـ بلورة وصياغة البدائل الاسلامية ١٢٧
٢ـ تجديد مناهج التغيير الاسلامي ١٢٧
٣ـ مسألة الحريات والحقوق ١٢٨
٤ـ الاختلاف والعلاقات والحوار ١٢٩
٥ـ الديموقراطية والتعددية والعلاقة بالآخر ١٢٩
٦ـ العلاقة بالغرب ١٣٠
٧ـ إسلامية المعرفة ١٣١

الفصل الخامس: الفكر الإسلامي الجديد: ملامح وقضايا ١٣٣
الأرضيات والشروط الموضوعية ١٣٥
الأرضيات والشروط الثقافية ١٤٥
الفقه وأصوله ١٤٦

القرآن والتفسير ١٤٧
الفكر الاسلامي ١٤٩
الفكر الحركي الاسلامي ١٥١
ملامح الفكر الاسلامي الجديد ١٥٣
أولاً: العلاقة مع العصر من الانقطاع إلى التواصل ١٥٤
ثانياً: الاندفاع نحو التجديد ١٥٥
ثالثاً: المراجعة والنقد ١٥٦
رابعاً: التفكير بالمستقبل ١٥٨
خامساً: الوسطية والاعتدال ١٦٠
قضايا الفكر الاسلامي الجديد ١٦١
أولاً: قضايا حقوق الانسان والحريات العامة ١٦١
ثانياً: قضايا السلطة والدولة والفقه السياسي ١٦٣
ثالثاً: إسلامية المعرفة ١٦٤
رابعاً: قضايا الاجتهاد في الفقه والتجديد في الثقافة ١٦٦
خامساً: قضايا المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر ١٦٧
كلمة أخيرة ١٦٩

زكي الميلاد

- من مواليد مدينة القطيف، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
- رئيس تحرير مجلة الكلمة، الصادرة في بيروت.
- باحث في شؤون الفكر الإسلامي.

آثاره:

- الحركة الإسلامية ومعالم المنهج الحضاري ـ بيروت.
- تحولات الفكر والثقافة في الحركة الإسلامية ـ بيروت.
- مالك بن نبي ومشكلات الحضارة ـ دمشق.
- الحركة الإسلامية وآفاق العمل الفكري ـ بيروت.
- الوحدة والتعددية والحوار في الخطاب الإسلامي المعاصر ـ بيروت.
- الفكر الإسلامي بين التأصيل والتجديد ـ بيروت.
- خطاب الوحدة الإسلامية ـ بيروت.
- الإسلام والغرب [بالاشتراك] ـ بيروت.
- الجامع والجامعة والجماعة ـ القاهرة.
- المسألة الحضارية: كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير ـ بيروت.
- الفكر الإسلامي: تطوراته ومساراته المعاصرة (هذا الكتاب).

كتاب قضايا اسلامية معاصرة

سلسلة دورية تصدرها مجلة قضايا اسلامية معاصرة

رئيس التحرير: عبد الجبار الرفاعي

❑ اشراقات الفلسفة السياسية	كامل الهاشمي
❑ الاجتهاد والتجديد	ابراهيم العبادي
❑ منهج الامام في التفسير	عبد السلام زين العابدين
❑ علم الكلام الجديد	محمد مجتهد شبستري
❑ المدرسة التفكيكية	محمد رضا حكيمي
❑ الامام السجاد	حسين باقر
❑ اشكالية الاسلام والحداثة	عادل عبدالمهدي
❑ اسلامية المعرفة	اسماعيل الفاروقي
❑ اصلاح الفكر الاسلامي	طه جابر العلواني
❑ جداليات الفكر الاسلامي	ابراهيم العبادي
❑ فقه التحيز	عبد الوهاب المسيري
❑ اسلمة الذات	كامل الهاشمي
❑ نظرية العلم في القرآن	غالب حسن
❑ القسط والعدل	لمحمد رضا حكيمي واخويه
❑ مقدمة في اسلامية المعرفة	طه جابر العلواني
❑ تطور الدرس الفلسفي في الحوزة العلمية	عبد الجبار الرفاعي
❑ قضايا التجديد	حسن الترابي
❑ نزعة التغريب	جلال آل احمد
❑ الدستور والبرلمان	جعفرعبد الرزاق
❑ الفكر الاسلامي: تطوراته و مساراته	زكي الميلاد
❑ علم الاستغراب	حسن حنفي
❑ الاجتهاد التحقيقي	محمد رضا حكيمي
❑ المستنيرون: خدمات وخيانات	جلال آل أحمد
❑ أصالة النبوة في حياة الرسول الكريم	غالب حسن
❑ اشكاليات التجديد	ماجد الغرباوي
❑ مقاصد الشريعة	طه جابر العلواني
❑ الثقافة الاسلامية بين التغريب والتأصيل	شلتاغ عبود